الأمير شكيب أرسلان

باكورة

شعر

باكورة

الأمير شكيب أرسلان / باكورة

قدّم له:

د. كلوديا شمعون أبي نادر

جميع الحقوق محفوظة

الدار التقدمية

المختارة ـ الشوف ـ لبنان

هاتف: ٠٥/٣١٠٥٥٥ ـ ٩٦١ ـ ٠٥/٣١١٥٥٥ ـ ٩٦١

E – mail: moukhtarainf@terra.net.lb

http: //www.daraltakadoumya.com

الطبعة الأولى ٢٠١٠

الأمير شكيب أرسلان

باكورة

تقديم

د. كلوديا شمعون أبي نادر

الدار التقدّمية

كلمة لا بدّ منها

إنَّ هذا التراث القيِّم مدين بالتنقيب عنه وجمعه وتنظيمه إلى الأساتذة:

المرحوم الدكتور يوسف إيبش، والدكتور يوسف خوري، والمحامي الأستاذ توما عريضه،

الذين لم يتوانوا عن شقّ المسافات الطوال وتكبُّد العناء في السفر إلى أقطار عدّة في البلاد العربية والأوروبية بحثًا واستقصاءً عن تلك المآثر المجيدة، التي، لولاهم، لكانت ذكرى أمير البيان، الأمير شكيب أرسلان، طيّ النسيان والضياع.

فلهم دائم العرفان لِما بذلوه من تضحيات في سبيل جمع هذا التراث ونقله.

الدار التقدّمية

أمير البيان

الأمير شكيب أرسلان

١٨٦٩ - ١٩٤٦

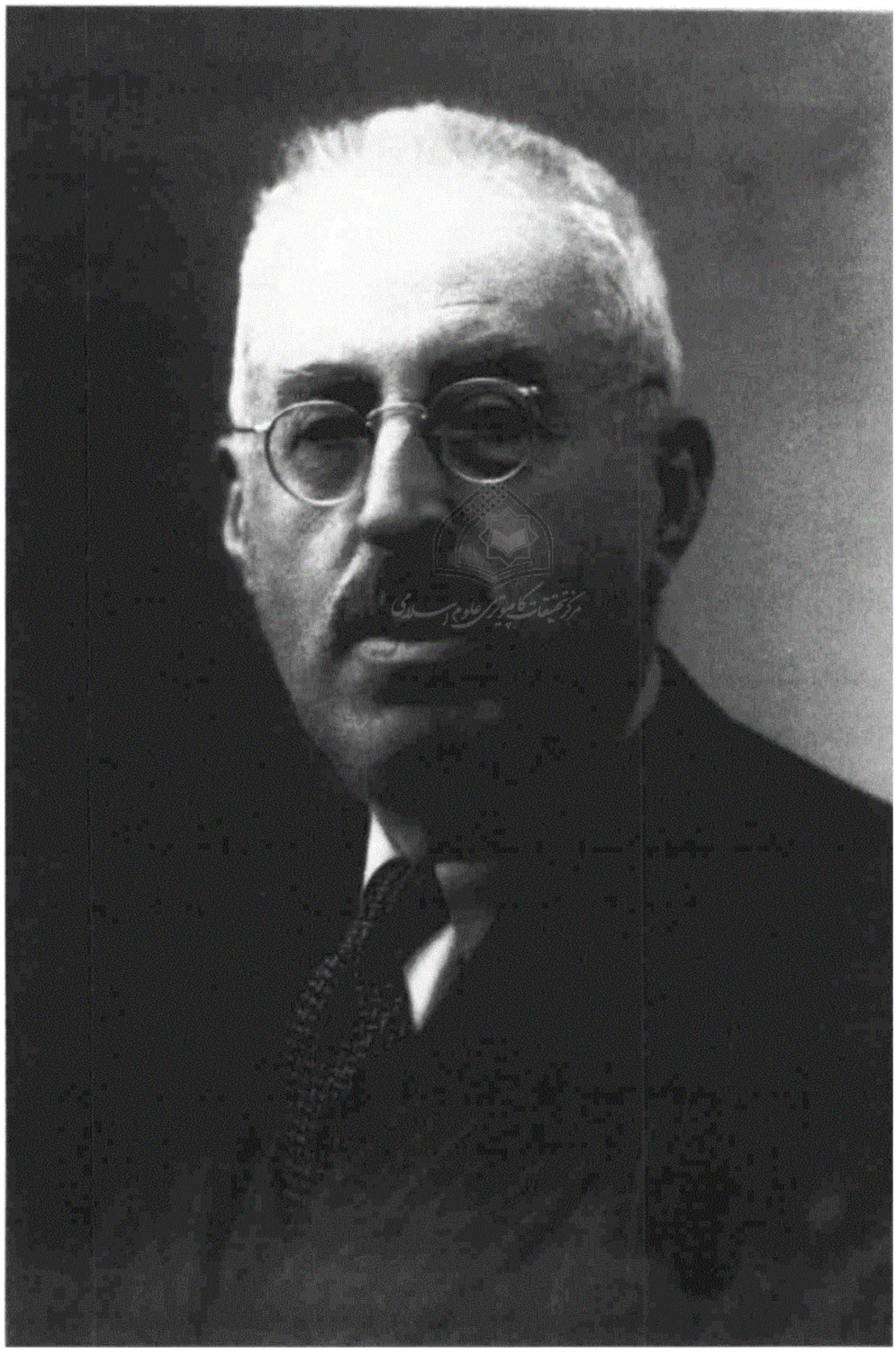

مقدّمة الناشر

تنطوي صفحات الفكر، وهو يعلو فوقها ويتألّق، عارضًا تشعّباته الجمّة، مؤثرًا إثارة فضولنا نحو المزيد. وفكر الأمير شكيب أرسلان هو، دون شكّ، من هذا النوع الذي يرقى إلى حدود الإبداع الإنساني الملفت، والمسجَّل بحروف من ذهب في الذاكرة الإنسانية الشاملة.

حلل كثيرة ومتنوّعة ألبسها الأمير شكيب أرسلان لملكته الفكرية. وها هو اليوم يطلّ علينا شاعرًا، مبدعًا، يلاعب الكلمة والوزن على أنغام أثيرية من سحر المعاني وأعمقها، وأبينها، وهو أميرها المتوّج عليها بعد أن قدَّم ديوانه الأول شعرًا، وهو الذي بين أيدينا الآن، ليكون « الباكورة » شعرًا، واسمًا، ليعود بعد ذلك سابرًا أغوار مراقيه الإبداعية المتعدّدة التي حملت إلينا كنزًا مُعْتبرًا من نتاج ذلك الفكر المتوقّد بالمعرفة والعلم والأناقة الأدبية الخالصة.

« باكورة » الكتاب الشعري الأول لأمير البيان، نقدّمه إلى القرّاء الأعزّاء وقد أولیناه رؤى الأمير وشفافيّته، ورهافة حسّه وشعوره الغني الذي جعله في مصاف الشعراء الأوائل؛ وهذا ليس بشهادتنا فحسب، بل بشهادة عمالقة الشعر في ذلك الزمن الأبي، أمثال خليل مطران، وأحمد شوقي، ومحمود سامي البارودي، وغيرهم كثر، إذ استطاع بأداته الشعرية المطواعة أن يدخل عالم الكلمة السحرية من بابه العريض، فيترك بصمة عميقة، شأنه في ذلك شأن كلّ البصمات الراقية التي بصم بها التراث الغني الذي تركه أمانة بين أيدينا.

«**باكورة**»، إصدار جديد للدار التقدّمية ينضمّ إلى أسرة مؤلّفات الأمير شكيب أرسلان الجمّة، ليشكّل حرفًا جديدًا في تلك السيرة الإبداعية التي لم توقف تيّارها الزاخر... سوى انطفاءة السراج...

الدار التقدّمية

في، ١ كانون الثاني ٢٠١٠

مقدّمة

بقلم: د. كلوديا شمعون أبي نادر

حين تقرأ شكيب أرسلان، تهبطُ من علوّ يشهقُ أمام ماضٍ أغنى تاريخ الوطن، وفضح هزالة الحاضر. كمٌّ مرعبٌ من الادِّعاء الثقافي والتهجين السياسي، والدجل الاجتماعي، والسذاجة الفكرية، شوّه الحاضر، ومسخ الماضي الحاضن لأهل فكرٍ، آمنوا بالقوّة التغييرية للكلمة ـ الفعل، وناضلوا جسدًا وروحًا كي تصان المبادئ، وتُحفظ كرامة الإنسان، والأمير شكيب إرسلان في طليعتهم.

ربّي اغفر للبنان، فنكرانه أو تجاهله لأميّز مميَّزيه، خطيئة لا تُغتفر!

أيُّها الأمير، أنا أعلم أنك لا تتململ في ما بعدّيتك، من تجاهل مرورك الفكري، في تاريخ لبنان، وهل يمكن للظلمة أن تحجب النور؟ أكثر من قرن قد مرَّ على ولادتك، إلاّ أنَّ عمق كتابتك الأفّاقة، يضعك دائمًا في مرتبة الآتي والمتوقَّع، والمترقَّب، وأكاد أقول المنتظَر. كتبتَ الماضي باستشفافٍ رؤيوي، فأزلتَ وَهْم الوقت، وتربَّعتَ على عرش الزمن، خطّاط المواقف، والمعارف، والمراجع، وناحِت سِيَر الكبار الذين يغيَّبون ولا يغيبون، ويضيفون حياةً على السنوات، ويعيشون ولا يجترّون، ويثيرون الإعجاب والتقدير والاحترام، عوض الازدراء والإهمال والنسيان.

أيُّها الأمير،

أحببتَ المعرفة، فتقمّصتك، ونذرتَ عمرك للقضايا المحقّة، فاستوطنك النضال وطنًا بديلاً عن البلاد التي عاث فيها الفساد والاستزلام والقمع للحرِّيات. أقلام كثيرة غدت مراجع بمحيطيّة معرفتها، إلاّ أنك تميّزت عنهم بموضوعيّتك الآسرة، والمتخطِّية للاستتباع، والتملُّق، والتملُّك، هَدْيها أمانة الرسالة ـ الرسولة، والجاهرة بالحقيقة، مهما غلت الأثمان، إيمانًا منك، أنه ما من شيء أغلى من الإنسان.

أيُّها الأمير،

ما من لقبٍ، قادر هو على صنع حامليه! أمّا أنت، فلقد أعطيت قيمةً معنويّة للقَبك، وأشَدْت قصرك المعرفيّ بكدّك اليومي، وظمئك، الذي لا يرتوي، لكلّ جديدٍ، منقذٍ للعقل والروح والجسد.

بسم الله الرحمن الرحيم

وعلى سيِّدنا محمَّد وآله أفضل الصلاة والتسليم

وبعدُ، فقد جمعتُ بعض ما وقع لديَّ من باكورة نظمي وأنا في روق الشبيبة، ولُدون الحداثة القشيبة، حديث العهد بهذه الصنعة، قريب الورد لهذه الشرعة، متطفِّل على ما ليس في طوقي، قبل أن أشبَّ عن الطوق، متطاول إلى ما هو فوقي دون أن أضمن لنفسي الفوق. انتخبتها وليس من مقصدي نشر ديوان ولا التلبُّس بحالةٍ من هذا الشان، بل إجابةً لطلب بعض الإخوان، كنتُ اعتذرت إليهم بأنها من عهد الطلب وهزّة الاقتبال والطرب وتطفُّل الحدْث على الأدب، بل عبث الوليد إذا شبَّ. فلمَّا لم أرَ لعرضهم صدًّا، ولم أجد من إجابتهم بُدًّا، اقتصرتُ على هذه الأُنموذجات. واحسَبُني تطاولت جدًّا، فإن صادفت من الإقبال محلاً ولاقت قبولاً فذاك، وإلاَّ:

فقد يتزيَّا بالهوى غيرُ أهلهِ ويستصحبُ الإنسانُ ما لا يلائِمُهْ

إهداء الباكورة

لحضرة العالِم العامِل، الفيلسوف الكامل، واسطة عقد الحكماء
ودرّة تاج البلغاء الأستاذ الأكبر الشيخ محمَّد عبده المصريّ
أيَّده الله تعالى

لو هاج مثلُ الحمد خاطرَ شاعرٍ ... ألقيتُ بين يديّ سواك بواكري
أو لو وجدت بمثل حَمدك عاذلاً ... كان الكمال إذا سَلَوْتك عاذري
لكن سطوتَ على القريض بأسرهِ ... وغدوتَ أعذبَ منهلٍ للخاطرِ
فزهوتَ بين مدارك ومشاهدٍ ... وسموتَ بين بصائرٍ وبواصرِ
أو كيف لا تسمو ومثلك من حوى ... بأعزّ نفسٍ كلّ خلقٍ باهرِ
عِلمٌ على عملٍ على قلمٍ غدا ... في الخطب يهزأ بالحسامِ الباترِ
وفضائلٍ تستنطقُ الأفواه من ... كلّ البريّة بالثناءِ العاطرِ
علاّمة العلماء والبحر الذي ... لا ينتهي مثل البحار لآخرِ
يا أيها العَلم الذي أوصافهُ ... أضحت رياضَ قرائحٍ وضمائرِ
شهد الزمان لنا بأنك فردهُ ... من كلِّ بادٍ في الأنامِ وحاضرِ
يا أوحد العصر الذي عُقِدت على ... تقديمه في الفضل خيرُ خناصرِ
لا غَرْوَ أنْ أهدي إليك رقائقي ... وأنا رقيق[1] فضائلٍ ومآثرِ
ليس القريض سوى تأثر خاطرٍ ... ممَّا به للمرءِ قُرَّةُ ناظرِ
تمسي المحاسن وهي فيه بواعثٌ ... للشعر بين مُسبِّبٍ ومُباشرِ
غررٌ على الأيام لولاها لما ... لاحت وجوه الدهر غير بواسرِ
لم تبرح الشعراءُ صرعى نشوةٍ ... برحيقها من سالفٍ ومعاصرِ

(١) الرقيق: العبد المملوك.

فإذا انجلت في مثل ذاتك مرّةً ... كنتَ ألاحقّ بكلّ مقولٍ[1] شاكرِ

يا من غدا بعوارفٍ ومعارفٍ ... يزري على لجج العُباب الزاخرِ

أهديك بعضًا من عقيق قريحتي ... يا بحرُ لكن لا أقول جواهري

أبيات إحسانٍ وليس جميعها ... من كلّ بيتٍ بالمحاسن عامرِ

قد جادها صوب الصِّبا وبنشرها ... نمَّ الصَّبا عن كلّ عَرْفٍ[2] ذافرِ[3]

درجت معي أطوار عمرٍ واصلٍ ... ما جاش من يومٍ بليلٍ ساهرِ

قد باكرتني قبل صادق فجرهِ ... مذ كنت من أعوامه في العاشرِ

أوحت إلى قلبي الهوى فشعرت إذ ... غصن الصبابة لا يميل لهاصِرِ

فمضيت بين كمائلٍ ومفاخرِ ... ومشيت بين خمائلٍ وأزاهر

ما قلت ذا فخرًا ولا عجبًا وما ... من معجبٍ في نظمها أو فاخرِ

لكن لترفق غير مأمورٍ بها ... فلكم خطت طورًا لنيل الحاضرِ

إنْ تأتني عفوًا فكم هذّبتها ... من سخف لفظٍ أو رويٍّ نافرِ

مكنتها بعد النزاع وكم حكت ... قلقَ القداح بدت بكفّي ياسرِ

حتَّى أتت من بعد تربيتي لها ... حسبي وإنْ لم تغدُ ملءَ محاجري

عوَّضت ما خسرَته من حسنٍ بما ... رُفعَت إليك فلم أكن بالخاسرِ

فكن الوصيَّ على يتامى ناظمٍ ... وبنات فكر في ثناك قواصرِ

أهديتها لا كي تليق وطالما ... قبل الكبيرُ هديَّةً من صاغرِ

هي دون ما يُهدى إليك وإنَّما ... مثلي على ما فاق ليس بقادرِ

الداعي

شكيب أرسلان

---

(١) المِقول: اللسان.

(٢) العَرْف: الطِّيب.

(٣) الذَّفر: (هنا) ذكيّ الريح (الرائحة).

قال في العلم والعصر
وأنشدها في محفل مدرسة الحكمة

عما بصباح العلم رغدًا وأنعما ... برَبعٍ ظلامُ الجهل عنه تصرَّما
قد انصاح صبح السعد في ليل نحسه ... فغادرهُ شيئًا فشيئًا مهزَّما
وثاب إليه العلم عدوًا بعَودِه ... إليه فلا لومٌ إذا ما تلوَّما
فأصبح داجي أفقه اليوم زاهرًا ... وقد كان زاهي أفقه قبل مظلما
وأينع ذاوي روضه اليوم بعد أن ... تصوَّح من عصف البوارح في الحمى
ترنَّح عطف السعد منه بُعَيْدَ ما ... رأى لثغور العلم فيه تبسُّما
وباتت غصون العزّ تخطر عندما ... رأت فوقها طير المعارف حوَّما
لعمرك إنَّ الشرق رُدَّ بهاؤهُ ... فيرفل في ثوب السناءِ منمنَمًا
وعاد إليه الفضل والعَود أحمدٌ ... عليه إذا كان الغياب مذمَّمًا
وما الشرق إلاَّ ذلك الشرق لم يزَل ... مدى الدهر أعلامَ العلى متسنِّمًا
فإن نابه[1] يومًا من الدهر صرفُه[2] ... فلم تكُ إلاَّ برهةٌ فتثلَّما
وإما تطِش دُهمُ الليالي سهامه ... فهيهات لم تسلبه للحظّ أسهُما
وإن فاته للفضل غيثٌ فإنَّما ... توخَّى إليه الرَّجْعَ جمًّا فعتَّما
وإن تَعرهُ الأحداث من بعد بسطةٍ ... فأيُّ الورى لم يلقَ بؤسًى وأنعما
وإن يكُ يومًا سوَّد الجهل أفقه ... فقد طالما في الفضل أطلع أنجما
نجومَ علومٍ أخجلت بضيائها ... نجوم ضياءٍ لحنَ في كبد السما

---

(١) نابَهُ وانتابه: أصابه.

(٢) صَرْف الدهر: نوائبه وحدَثانُه.

بهنَّ اهتدى في سيرِه كلُّ بارجٍ ... توغل في بحر الكيان الذي طمى

رجالٌ بهم جادَ الزمان وعلَّهُ ... على مثل هذا الجود يومًا تندَّما

أقامهمُ في الشرق يُحيون شأنه ... فأُذهل عمَّا نال عادًا وجرهما

همُ الملأُ الأخيار والعصبة الأُولى ... رأَينا لعمري الرُّشد فيهم مُجسَّما

تظلَّم منه الفخر قبل مجيئهم ... فجاءُوا فلمَّا أثقلوه تظلَّما

لكم أرهفوا بالجدّ للمجد مخذما[1] ... وكم أرعفوا بالنبل للفضل مخطما[2]

وكم صرفوا وجه الصروف عن الورى ... وكم عفَّروا بالحزم للدهر مرغما

وكم سهَّلوا حزنًا علا وثنيَّةً ... وكم بدَّلوا بالشهد صابًا وعلقما

وسلُّوا من الآراءِ أبيض صارمًا ... ففلوا من الأرزاءِ بحرًا عرمرما

أماطوا قناع المكرّمات وقد جلوا ... مُحيَّا المعالي بعد أن كان أسحَما[3]

وأعلوا منار الرشد في أفق شرقهم ... وخلّوا سبيلاً للمآثر أقوما

وأجروا ينابيع المعارف في الملا ... فطال بها نبت المعاني وقد نما

وشادوا أصولاً للفنون وأوضحوا ... لها سُبلاً أضحت إلى النُجْح سُلَّما

فنعم رجال الشرق قومًا ومعشرًا ... إلى جدّهم أصل المعالي قد انتمى

جروا في رهان الفضل في أول المدى ... سباقًا كما أجريت أجردَ شيظما[4]

ولم يرهبوا من دونها في جهادهم ... خطارًا[5] فقد خالوا التوقّي تَقَحُّما

فهم أسَّسوا ركن الحضارة في الورى ... ولم يفعلوا إلاَّ لندرك مغنما

وهم أكنهوا سرّ المعارف أولاً ... وهم عرفوا نفع العلوم مقدَّما

فلمّا أحلَّ الله فيهم قضاءَهُ ... ووافاهمُ داعي الرَّدى مُتخَرِّما

---

(١) المخذم: القاطع من السيوف.

(٢) المِخطم: الأنف.

(٣) الأسحم: السحاب الأسوَد.

(٤) الشَيظم: الطويل من الخيل.

(٥) الخِطار: (على غير القياس) الأخطار.

طوتهم أيادي البين من بعد أن رموا ... من الهمَّة الشمَّاء أبعد مُرتَمى

فغار ضياءُ الشرق عند غيارهم ... وأظلم وجه الشرق وقتًا وأقتما

ودالت إلى الغرب العلوم مع العلى ... كما حكم المُبدي المعيد[1] وأبرما

وأوجف ركبَ السعي في طلب العلا ... فكان بذا الجري الجواد المُصمِّما

فهادنه صَرْف الزمان مسالمًا ... ونوَّلهُ الخير الأتمّ المعمَّما

وباتت بلاد الشرق من بعد عزّها ... كأنْ لم تنَل مجدًا ولم تحوِ مُغرَما

إلى أن تجلّى طالعُ العصر بعد أن ... تحجَّب عن تلك الجوانب وأكتمى[2]

فثابت لدى إشراقه الهمم التي ... عن العلم قبلاً قد تقاعسنَ نُوَّما

عن العلم حقّ العلم بالفعل ظاهرٍ ... فذلك للألباب قد كان ألزما

وعفَّت على ما كان قبلاً وذلَّلت ... جماح زمان قد طغى وتجرَّما

فإن يكُ خَسف الرشق أضحى محلَّلاً ... لديهِ فما كان الفلاح محرَّما

ألا يا بني الأوطان إنَّ عليكمُ ... إلى السعي في تلك المعالي التقدّما

عليكم بها فاسعوا لها وتشبّهوا ... فمن يتشبّه بالكرامِ تكرَّما

ومن قصرت أيديهِ فليسعَ طوقَهُ[3] ... ومن لم يجد ماءً بأرضٍ تيمَّما

وقد نكتفي بالطلّ إن بان وابلٌ ... ونحجوا اعورارَ العين خيرًا من العَمى

ولا سيَّما العلم الشريف فإنَّنا ... نرى نيلهُ جدًّا على الكلّ مغرما

أما نحن من سَنُّوا المآثر واقتفى ... مآثرنا مَنْ بَعْدَنَا حاز مُستَمى

ألم نُعلِ أعلام العلوم بقطرنا ... على حين حدُّ السيف يرعف بالدِّما

ألم نكُ أهل الأوليّة في العلى ... ليالي لم نثنِ عن المجد مَغرما[4]

---

(١) المبدي المعيد: الله سبحانه.

(٢) اكتمى: استتر.

(٣) سعى الشخص طوقه: أي جُهده وإمكانَهُ.

(٤) المَغرَم: الدَّين.

بلى نحن كنَّا أهلها فأزالنا ... زمانٌ توخَّى حَيفَنا وتحكَّما

وما زال أهل الغرب يدرون قدرنا ... من الفضل ما أبدوا مدى الدهر معجما

متى يذكر الأفضالَ فيهم خطيبهم ... على منبرٍ صلَّى علينا وسلَّما

فلا تحسبونا قد عرينا وطالما ... جررنا من الفضل الرداءَ المرقَّما

وهم أثَرَوا عنَّا العلوم فهذبوا ... فجرُّوا علينا مطرف المجد مُعلَما

تباروا بعلمٍ بينهم وتنافسوا ... فلا جُرْمَ أنَّ العِلم سرَّ فاشكما[1]

وقد بلغوا من باذخ العزّ منزلاً ... يظلّ لسان الحال عنه مترجِما

إذا نظر الشرقيّ حال صلاحهم ... بكى صاحبي منها دمًا سالَ عَندما[2]

فيا وطني حتَّامَ تلبث غافلاً ... وحتَّامَ يا شرقي أراكَ مهوِّما

ألم تدرِ بالغربيّ في الأرض سائحًا ... على سابحٍ[3] من علمهِ ليس مُلجَما

فللَّه درُّ العلم إنَّ جداءَهُ ... لَمِمَّا يفوق العارض المتسَجِّما

لكم نال من فخرٍ وأيَّد صاغرًا ... وكم عالَ من فقرٍ وقلَّدَ مُعدما

وكم حلّ من عيٍّ وأطلق حُبسةً ... وكم فلَّ من غيٍّ وأنطقَ أبكما

فمن يعتصم بالعِلم يظفرْ بهَدْيهِ ... فلم يكُ غير العلم شيئًا ليعصما

إذ العِلم هذا الحقّ ما فيهِ شبهةٌ ... وحسبك بالحَقِّ المُبين معلِّما

ومن عزَّ دون العلم شأنًا فإنَّه ... لسوف يلاقي أمرهُ متحتِّما

فذو السيف يلقى العزّ حينًا ومفردًا ... وذو العلم يلقى العزّ دهرًا وتوأما

ومن نال أخطار اليراع فإنَّما ... ستقرن كفَّاه يراعًا وصَيلما[4]

فسعدًا لمن في حلْبة العلم قد جرى ... وسحقًا لمن في حلْبة العلم أحجما

---

(١) أشكم فلانًا: أعطاه، والشكم: العطاء أو الأجر والجزاء.

(٢) العَندم: خشب نبات، صباغه أحمر كالدم.

(٣) السابح: الحصان (الجواد).

(٤) الصَليم: السيف.

وما ذلَّ من يهوى العلوم وإنَّما ... تسوَّد[1] من للعلم كان متيَّمًا

سما بالذي كان الحضيض مقرَّهُ ... فطنَّب من فوق الدراري مخيَّما

فما يبلغ المِنطيق وصف جَدائه ... ولو كان كلّ الكون في وصفه فما

فحثّوا مطايا العزمِ كي تظفروا به ... تنالوا بيُمن العصر منهُ الميمَّما

فلا مِنْيَةٌ إلاَّ ونلتمّ أعزَّها ... ولو أنها باتت على رَوقِ أعصَما[2]

لئن تبذلوا فيه النفيس فغيركم ... لإحرازه هلك النفوس تجشُّما

وما غيركم والله إلاَّ أصولكم ... نخبِّرُ عنهم لا حديثًا مرجَّما

وقومٌ هدوا في الحقّ هَدْيَ جدودكم ... إلى أن غدوا الأعلين في الأمرِ مثلما

أولئك قد سادوا وأقصى نكايةٍ ... لنا فيهم ألقاب عِلجٍ وأعجما

بعلم إذا ما بات فيهم متوَّجًا ... فيا طالما قد كان فينا معمَّما

فإمَّا لعمري قدوةً بمعاصرٍ ... وإمَّا تراثٌ للذي صارَ أعظُما

ولا نحسب الأحوال وهي عوارض ... تُغيّر في أصل المبادي فنسأما

وإمَّا نصبنا في سبيل جهادنا ... فأيّ قرارٍ لا يقابل مخرما

وقد أُشرع الدربُ الموصل نحو ذا ... بما شفَّع الرحمن فينا وألهما

فلا صدفت فتياننا عن وُلوجهِ ... ليغدو بهم رثُّ البلادِ مرمَّما

ويُرتَقُ فتق[3] الشرق بعد اتِّساعهِ ... ويُرفى غطاهُ بعدما قد تشرَّما

فإنَّ الفتى من زان مسقط رأسه ... بما نالهُ من حكمةٍ وتعلَّما

فذاك الذي في بُردة الفضل ينثني ... وليس الفتى مَن بالعقيق تَختَّما

فإن ينتظم شمل الرجال بقطرنا ... ترتَّب فيه أمرنا وتنظَّما

لأنَّ نجاح الصقع في حُسن أهلهِ ... إذا كان أمر الودّ في القوم مُحكَما

---

(١) تسوّد: صار سيِّدًا.

(٢) رَوق الأعصم: قرن الوعل، يُضرب لكلّ غاية بعيدة المنال.

(٣) رتقَ الفتق: أصلحه، وكذلك رفأ.

وكانوا كما الأعضاءُ في الجسم فاغتدى ... على الكلّ منهم خيرُه متقسِّما

فيشتدُّ أزر القوم بعد انحلاله ... إذا شدَّ من عقد التضافر مِحزما

إذا نبتغي علمًا بدون تضافرٍ ... إذًا فاتِّباع الجهل قد كان أحزما

وكلّ امرئٍ عن قومِه متخلِّفٌ ... فلا يعدمنَّ الدهرللوطْءِ مَنْسِما

فكونوا كجسمٍ واحدٍ إن تألَّمت ... لهُ عضلةٌ تلقى الجميع تألَّما

تفوزوا بتذليل الصعاب إذا عصت ... وتقووا على ذا الدهرِ إمَّا تَهضَّما

وتحظوا بأعلاق المنى وتُحقَّقوا ... بهمَّتكم من عصرنا ما توسَّما

هو العصر وافى ضاحكًا عن فنونه ... وقد كان من قبلٍ عليكم تأجَّما

تبدَّى وهذا الجهل في الناس سائدٌ ... فاطرق منه هيبةً وتَحشَّما

وراحَ على الدنيا ينثُّ بدائعًا ... فهزَّ أخا عشقٍ ورنّح ضيغما

بكم معشر الحضَّار تزدان أرضنا ... ويصحّ عرض الخَسف فيها مكلَّما

تُجَلّون عن أن تُرشدوا من مماثلي ... ولكنَّها ذكرى لما ليس مُبهما

كفى عصركم فخرًا وعزًّا إذا ادَّعى ... أميرَ الورى عبد الحميد المعظَّما

ليجهد في استرجاع رونق شرقنا ... وتجديد ما من مجدِه قد تهدَّما

فلا زال في عصر الخلافة قائمًا ... لما آنَ من أمرِ العباد مقوّما

ينثُّ عليه الخافقان بعدلِه ... ثناءً جميلاً بالدعاءِ مُختَّما

وقال في مثل ذلك عند
حضور امتحان المدرسة السلطانية

بدورٌ بأفق العلم هذي المواسمُ ... على البدر قد لاحت لهنَّ مواسمُ
لتغدو بها عين الفَلاح قريرةً ... وتبدو ثغور السعد وهي بواسمُ
يقدّر فيها العِلم ما هو كاسبٌ ... ويعرف فيها الفضل ما هو غانمُ
فتنتج ما قد حاول الجهد في العُلى ... وتُسفِر عمَّا باشرَتهُ العزائمُ
شهودٌ على صدق الفعال أمنيةٌ ... ولكن قضاةٌ بالسباق حواكمُ
مضامير أقران النباهة والنهى ... يميَّزُ مرغومٌ لديها وراغمُ
هو الجدّ حتَّى البعد للقرب سابقٌ ... وحتَّى الخوافي خلفهنَّ القوادمُ
وحتَّى ترى ما كان في نَيلِه الرجا ... صريمًا قد التفَّت عليه الصرائمُ[1]
وهل يبلغ الآمال إلاَّ مجاهدٌ ... وهل يطرد الأهوال إلاَّ مقاومُ
وهل دون غاي[2] الجهد تُدرك غايةٌ ... ودون اختراع النفس تعنو المخارمُ
وكيف يُرجّي الوصل من ليس يمتطي ... وكيف يزيل القِرن من لا يصادمُ
ولا بدَّ من غوص الفتى قعر لجّةٍ ... لتُخرجَ غُرَّانَ اللآلي الخضارمُ
ومَن مدرك مَن فاته وهو قاعدٌ ... ومَن لاحق مَن جازهُ وهو نائمُ
وما النفع من جيشٍ تعبَّى صفوفه ... إذا لازمت أغمادَهنَّ المخاذِمُ
فإنَّ تمام الجهد للنُجح واجبٌ ... وليس يسوغ الصدّ عمَّا يلائمُ
وإنَّ المسمّى العقل في المرء صاحبٌ ... لعلمٍ غدت منه عليه رتائمُ[3]

---

(١) الصرائم، مفردها الصريمة: وهي القطعة من الليل.

(٢) غاي، مفردها غاية: تقول غايٌ وغاياتٌ.

(٣) رتائم، مفردها رتيمة: وهو خيط يُشَدّ على الإصبع ليستذكر به صاحبه أمرًا.

فأجدرِ بِخِلٍّ أن يصاحب خلّهُ ... ولا يترك الملزوم ما هو لازمُ

وما خير كفٍّ أمسك الغلّ أختها ... وما نفع سيفٍ لم يؤيّدهُ قائمُ

وللعقل طول العمر للعلم صبوةٌ ... بلا سلوةٍ والإلف بالإلف هائمُ

أليفان لا ينفكّ كلٌّ متيَّمًا ... بصاحبه تَعيى لديه اللوائمُ

فإنَّ عُدَّ حقًّا أفضل الناس عالم ... فأفضل منه عاقلٌ وهو عالمُ

وإن أمكنت من دون ذا العلم عزَّةً ... فبالعلم أسنى ما تسود العوالمُ

فلم نرَ شعبًا في البرية عاكفًا ... على العلم إلاَّ هادنته الصواكمُ[1]

وأصبح في بحبوحة العزّ راتعًا ... يعزُّ وتعنو من سواهُ المراغمُ

كما عزَّ بالعلم الأعارب قبلنا ... فذلّت وهابتهم لذاك الأعاجمُ

ليالِيَ لا أملاك إلاَّ ملوكهم ... تعدُّ ولا تيجان إلاَّ العمائمُ

تقدَّمَنا منهم رجالٌ تقدَّموا ... وسادوا وما في القوم إلاَّ ضبارم[2]

رجالٌ مضوالم تُلهِهم عن علومهم ... وشغل النهى غاراتهم والملاحمُ

بهم أشرقت تلك الديار وأزهرت ... بأقطارنا أنجادها والتهائمُ

قد استخرجوا درَّ المعارف بالعنا ... وموج العوادي حولها متلاطمُ

فمنهم بآثار العدوّ صوائفٌ ... ومنهم لآثار العلوم معالمُ

لقد أوسعوا الأمرين فتحًا كأنَّما ... مكارمهم في الحالتَين مغارمُ

فغنَّت رُهام[3] الطير فوق رياضهم ... وأثنت عليهم في النزال القشاعمُ[4]

وسادوا العدى في كلّ أمرٍ فأصبحت ... بأيديهم أمصارهم والعواصمُ

وأصبح منهم هؤلاء على الثرى ... كما سكنت بطن التراب الأراقمُ

---

(١) الصواكم: صواكمُ الدهر، ما يصيب من نوائبه ومصائبه.

(٢) الضَّبارم: الأسَد.

(٣) الرُّهام: ما لا يصيد من الطير.

(٤) القشاعم، مفردها قشعَم: وهو النَسر المُسنّ.

يخافون أمر العرب حتَّى كأنَّما ... لهيبتهم فيهم رقًى وطلاسمُ

ولم يكُ إلاَّ العلم علّة ذا العلا ... فجادهمُ ما لا تجود الغمائمُ

فمن يعتصم بالعلم يُمسِ معزَّزًا ... ومن يفتَتِنْ عنه تطأْهُ المناسمُ

إذا ما تأمَّلت الزمان رأيته ... بكلّ نجاحٍ في العباد يساهمُ

فإن عدّ كسب العلم فينا فريضةٌ ... فكلّ جهالات الأنام محارمُ

وهل نرتضي ذا اليوم ذلاًّ بتركه ... إذا ساد فيهِ جيلنا المتقادمُ

لعمري لقد كانت لنا بجدودنا ... مآثر في حقّ القصور مآثمُ

فلا غَرْوَ أن نقتصّ آثار مجدهم ... طرائقهم قدامنا والمناجمُ

ولمْ لا نرجيّ كلّ فوزٍ وما لنا ... سوى الفضل في جنب الزمان جرائمُ

ونعلم أنَّا إن نجدَّ نجدْ وذا ... مُجرّبُ أمرٍ ليس فيه مزاعمُ

وكيف يُرى نَيل الفلاح بدونه ... ويأمل دون الجدّ ذا النَيل حازمُ

بعصرٍ يفوت القوت فيه مُعِدّهُ ... ويعدم ورد الماء من لا يزاحمُ

وقد نهضت كلّ الخواطر للعلى ... وزادت جيوشًا في الصدور الشكائمُ

فكلٌّ فخارٍ ناهل الفكر حائم[1] ... له وعليه طائر الذهن حائمُ

فعزمًا بني الأوطان فالجهد واجبٌ ... بذا وبحول الله فالنصر قادمُ

فقد قيَّض الرحمن فينا ذرائعًا ... وقامت لهذا الفضل فينا دعائمُ

ويومٍ هو المشهود أيامنا به ... مقلَّدةٌ أجيادُها والمعاصمُ

لدى مشهدٍ يستوقف الركْبَ عن ظِما ... وتسكن من جفلٍ إليه النعائمُ

تناهب فيه الحمد من كلّ جانبٍ ... كرام صنوف المجد فيهم مقاسمُ

بهم رجع الفضل الأصيل لأهلهِ ... وعادت إلى أصحابهنَّ المكارمُ

وهل ناجعٌ بالأمر إلاَّ رجالهُ ... وهل ساجعٌ بالأيك إلاَّ الحمائمُ

---

(١) حائم: عطشان، وحائم (الثانية) للطير: يستدير في الفضاء.

وهل يتحرّى الفضل إلاَّ عميدُهُ ... وهل تسكن الآجامَ إلاَّ الضراغمُ

فسقيًا لروضٍ للمعارف ناضرٍ ... بها وعليه عارض الفضل ساجمُ

لأطياره في العلم شدوٌ وإنَّما ... به الطائرُ المحكيُّ في القول جائمُ

يضوع له في الأرض عَرفُ معارفٍ ... ثناءٌ على عُرفِ الخليفة دائمُ

سلامٌ على السلطان أمَّا مرامهُ ... فنفعٌ وأمَّا شغلهُ فالعظائمُ

سليل بني عثمان أمَّا جَداؤهُ ... فغيثٌ وأمَّا عزمهُ فلهاذمُ[1]

أطاع لهُ البرَّان شرقٌ ومغربٌ ... ودانت له في العُدْوتَين[2] الأناسمُ

له بين أعباءِ الخلافة في العُلى ... صرائم إلاَّ أنهنَّ صوارمُ

أوامرهُ فعلٌ مضيٌّ بلا مِرًا ... وتنكص عن فعل المضي الجوازمُ

أقام أمور العرش بعدَ تظاهرات ... عليه خُطوبٌ للظهور قواصمُ

وقامَ بأمر المُلك حقّ قيامهِ ... يدافع عنه تارةً ويهاجمُ

فسدَّ ثغور المُلك بعد انثلامها ... وجازَ إلى دار الوغى وهو ثالمُ

وأحكم إجراء العدالة في الورى ... وعمّت لهُ كلّ العباد مراحمُ

فيومًا تراهُ وهو للرزق قاسمُ ... ويومًا نراهُ وهو للخطب حاسمُ

يُسهّد جفنًا لا يطيب له الكرَى ... وفي أرض عثمان ظليمٌ وظالمُ

فلا زال بدرًا نورهُ متكاملٌ ... وغيثًا علينا غيمهُ متراكمُ

يعيد لنا عزّ الخلافة عهدهُ ... ويغتبط الإسلام إذ هو سالمُ

تضيءُ على الدنيا مطالع شكرهِ ... وتَعطر فيهِ بالدّعاءِ الخواتمُ

---

(١) اللّهاذم، مفردها اللّهذم: كلّ شيء من سنانٍ وسيفٍ قاطع.

(٢) العُدْوة: المكان المتباعِد.

وقـال

من الدّهر تشكو أم على الدّهر تعتبُ ... وما صاحب الأيام إلاَّ معذَّبُ

وما أنت إلاَّ عتب دهرٍ إذا غدا ... له الدهر معتوبًا فلا الدهر مُعتبُ

شكيٌّ بلا قاضٍ شجيٌّ بلا أسًى ... إذا بات في دنياهُ يَعتِبُ يتعبُ

يلاقي الأسى في صدره كلَّ مذهبٍ ... متى ضاق عن ذا المرء في الأرض مذهبُ

هو المرءُ في كفّ الزمان مقلَّبٌ ... يقاسي عذاب الموت والدهر يلعبُ

تولَّد في الدّنيا حليف مصائبٍ ... فلم يُغْنِ عنه حرصهُ والتجنُّبُ

يصاحبها وهي العداة وإنَّه ... لخسف بأن تَشنا[1] الذي أنت تَصحبُ

إذا نقصت من كلّ عزٍّ حظوظهُ ... فاسهمهُ من نكبةٍ ليس تغلبُ

طريد ليالٍ بات في كفّ طاردٍ ... ومطلوب دهرٍ عند من هو يطلبُ

فبينا يُسام الخَسف من كلّ وجهةٍ ... إذا هو في بطن الضريح مُغيَّبُ

فللَّه يا دنيا حياتك كربةٌ ... وفيكِ غُراب البَين لا زال يَنعبُ

رأيتك محض الغشّ في محض قدرةٍ ... فلا منك رهبان ولا فيك أرغبُ

وإنِّي وإن ضاقت عليَّ مذاهبي ... لديك فصدري من فنائك أرحبُ

أرى بك من نكدي وصبري عجائبًا ... وأعجب من حالي وحالك أعجبُ

فهل فيك ضَيمٌ مثل بُعد أحبّتي ... مضى ذلك الأمر الذي أتهيَّبُ

بكيت عليه وانتحبت لياليًا ... فلم يُجدِني ما كنت أبكي وأنحَبُ

فكم ليلةٍ منها قضيتُ مسامرًا ... نجوم السما طورًا تضيءُ وتغربُ

إلى جانب الورقاء تندب في الدّجى ... شجيَّين طول الليل نشكو ونندبُ

---

(١) تشنأ: تبغض مع عداوة.

تنوح على البلوى وتشكو وإنَّها ... لتُعجم شكواها وأشكو فأُعرِبُ
تشبُّ شرارات الأسى بترائبي ... ويطفئها من ماءِ عينيّ صَيِّبُ
وقد كنتُ لا أبغي خمود صبابتي ... وأزجر طرفي إذ يجفُّ وينضبُ
بصدري حَرُّ الشوق بردٌ يلذّ لي ... وعندي ورد الدّمع والله طَيِّبُ
أبى الله أن أهوى السرور وإنَّني ... على غير صوت النوح أشجى وأطربُ
لئن عَذُبَ التعذيب لي قبل ذا النوى ... بحبّي فهل بعد النوى ليس يعذبُ
فيا ليت شعري هل أرى الدّهر مرّةً ... لدى غفلةٍ عن نكبتي يتنكَّبُ
أَليست لتصفو منه يومًا سرائرُ ... فيحلو لي طعمٌ وينساغُ مَشربُ
وهل أنظر الأيام يومًا وما بها ... على شرفي يومٌ جَريمٌ ومُذنبُ
أما تحفظ الأيامَ منِّي وقيعةٌ ... وتغضب منِّي مثلما أن أغضبُ
فقد طال وصفي نَكْدها غير كاذبٍ ... ألا ليتها تسعى بِردٍّ وأكذبُ
فتبًّا لها مِن مُصمياتِ سهامُها ... ولا ينفع الإنسان منها التأتُّبُ[1]
هي الدُّجن أمَّا صاعقات خطوبها ... فصدقٌ وأمَّا البرق منها فَخُلَّبُ
قضى قبلنا الكنديُّ أحمدُ حقبةً ... يُعنِّفها في شعره ويؤنِّبُ
وإنِّي وإن أكثرت منها تظلُّمًا ... فلست بما أشهرت من ذاك أُطنبُ
على أنها الدنيا إذا شئتُ وصفها ... وإن لم أشأ تُملي عليَّ وأكتبُ
وإنِّي إن لم تُحْيني غير صبوةٍ ... فكم ناشني منها إلى اليوم مخلبُ
سأشكرها إذ إنَّها مذ حداثتي ... لقد عوَّدتني الصبر وهو مُحبَّبُ
وقد نجَّذتني[2] الحادثات وأدَّبت ... وليس كمثل الحادقات مؤدّبُ
ولكنَّها منِّي تمارس شدّةً ... وقد عَجمت عُودي[3] فعوديَ أصلَبُ

---

(١) تأتّبَ: لبسَ الإتْب، وهو قميص بغير كُمّين، ويريد به الدّرع.

(٢) نجّذتني: جَرّبتني وأحكَمتني.

(٣) عجمَ العُود: عَضّه ليعلم صلابته من رخاوته، بمعنى اختبره.

وما عدمت من شدّةٍ وبراعةٍ ... ولكنّ من لاقت أشدُّ وأنجبُ

ولكنَّه لا نفع فيها لصابرٍ ... إذا لم يكن منها لعمرك مَهربُ

محاكيةٌ للبحر تعلوه جيفةٌ ... وفيه نفيس الدرّ في القعر يرسبُ

فيعدم فيها الحظَّ من يستحقّه ... ويحرم فيها الكسب من يتكسَّبُ

ويَحظى بها بالجدُّ مَن لا يرومه ... ويُشوى بها بالسهم من لا يصوَّبُ

وذاك لعمري كلّه يغضب النَهي ... ويوغر في صدر الهُمام ويُلهبُ

إذا الحقّ لم يصبح على الكلّ سائدًا ... فليس لحرٍّ في البريّة مأربُ

وإنَّ عَدِمَ الحقُّ المبين نصيرَه ... فما يرتضي بالعيش مرءٌ مهذَّبُ

وإن لم تكن فينا على الخير عصبةٌ ... ففيما سواه ساءَ ما تتعصَّبُ

فليس بمغنٍ للكريم اتّساعها ... إذا كان فيها الحقّ كالمال ينهبُ

لكم بتُّ أُنضي همّتي لأقيمه ... وأُظهرَه في بعض أمرٍ ويُحجبُ

فما زال للأبصار تحت ستائرٍ ... إذا زال عنه غَيهبٌ جنَّ غيهبُ

لقد قلتُ ما قد قلت لا عن مآربٍ ... أُجلُّ أنا من مثل ذاك وأحسبُ

وإنّي من القوم الذين همُ همُ ... إذا غاب منهم كوكبٌ لاح كوكبُ

عِتاق المعالي قد تسامت جدودهم ... على الشمِّ ممَّن انسلَ الشيخ يَعربُ

لهم نسبةٌ في أقعس المجد عِرقها ... لها منزلٌ فوق السِماك مُطنّبُ

وأصحابهم فيها الفصاحة والحجى[1] ... وبذل اللُّهى[2] والمشرفيُّ المُذرَّبُ[3]

بدورٌ إذا الهامات بالبَيض عُمّمت ... ليوثٌ إذا الهامات بالبيض تضربُ

بحورٌ إذا الأزراءُ ألقت جِرانها[4] ... غُيوث إذا الأعوام في القوم تُجدبُ

---

(١) الحجى: العقل.

(٢) اللّهى: أفضل العطايا وأجزلها، والمراد بها هنا النفس أو الروح.

(٣) المشرفيّ والمذرّب: السيف المسنون.

(٤) ألقت الأزراء جرانها بالقوم: كناية عن أنّ المصائب نزلت وحلّت بهم بأثقالها.

فياصِلُ حقٌّ بالبيان وتارةً ... فياصلُ إذ دار الأصمُّ المكعَّب[1]

لهم حسبٌ يحكي الشموس وضوحُه ... يزاحم منه للكواكب منكبُ

فإن كنت منسوبًا إليهم فإنَّها ... إليهم لَتُعزَى المكرمات وتُنسَبُ

فدون انتساب المجد للمرء والعُلى ... لَعمرك لا يغْنيه أمٌّ ولا أَبُ

إذا كنتُ ممَّن قال ذلك موقنًا ... فإنِّيَ من يسعى لأمرٍ وينصبُ

فما دمتُ حيًّا في الزمان فلم تزل ... عليَّ حقوقٌ ليس منهنَّ أوجبُ

نعم أنا لا رأْسٌ يطاع فيُتَّقى ... ولكنَّني عضو يهيج فيُعطبُ

أهمُّ بأشياءٍ كثارٍ ودونها ... من البعد في ذي الحال عنقاءُ مُغرِب[2]

ويصعب جمع الماء والنار في يدٍ ... على أنَّ جمع الجدّ والفهم أصعبُ

أرى الفتح يدنو كلَّما أنا ساكنٌ ... ويبعد عنِّي كلَّما أنا أقربُ

وقد غادرت قلبي العوارض حائرًا ... هو القلب من تلك الحوادث قُلَّبُ[3]

توارَدُ أنواعًا كثارًا وكلُّها ... تؤَثر في القلب اللطيف وتنشبُ

---

(١) الأصمّ المكعّب: من صفات السيف.

(٢) عنقاء مغرب: طير أسطوري لم يرَه أحد، وهو مثلٌ يضربه العرب للقاصي والمجهول.

(٣) قُلَّب: متقلّب.

وقال متغزّلاً بالحسن المعنويّ مفتخرًا بأصحابه

مـال الصِبـا بعواطـفِ النشـوانِ ... مَيْـلَ الصَبَـا بمعاطـف الأغصـانِ

ولـوى الغـرامُ عنانَـه نحو اللـوا ... وبـدا الحـنيـن لأبـرَقَ الحنّـانِ

وهوى الهوى بالقلب بين أعقّةٍ[1] ... ومـتـالـعٍ[2] ومطـالـعٍ ورعـانِ[3]

فغدا يراوح من معاهدها التـي ... في نجـد بيـن مـعـالـمٍ ومـغـانِ

يأتي اللِّصاب[4] من الشِعاب ويتحي ... من منزل الجرعا[5] سفوحَ البانِ[6]

في كـلّ منـعـطـفٍ وكـلّ ثنيّـةٍ ... يبـدو له شجـنٌ من الأشجـانِ

ويح المحبّ لقد تهتّك في الهوى ... فـرعـاه في سـرٍّ وفي إعـلانِ

أجرى العقيق بطرفه وبنى بـاو ... تـاد الضلـوع مضـاربَ الكُثبـان[7]

صبٌّ ألمَّ بـه الهوى فمضى بـه ... للحسـن تحت أسنّة الخِرصـان[8]

أنذرتُه سـوءَ المصير فقـال لـي ... إنَّ الـصـبـابـة عـزّة الـفـتـيـانِ

أطلقت للقلب العِنان فهمت لا ... ألـوى ولسـت لذا العِنـان بثـانِ

لهفي عليه عَدَتْ بمهجته الظِّبـا ... حُبًّـا إلـى حيـث الظبـى بمكـانِ

بين البوارق والصفوفُ زواحفٌ ... تحت البيـارق والرمـاحُ دوانِ

طلب المحاسن في الخيام ودونها ... ضربٌ يطيح سواعد الشجعانِ

---

(١) عَقّ الولد والده: عصاه، فهو عقوق.

(٢) متالع: جبل.

(٣) الرِّعان، مفردها الرعن: وهو أنف يتقدَّم الجبل. ويريد أنَّ الحبّ هوى بالقلب في غير مكان من الصحراء، حيث نشأ الغزل العذري.

(٤) اللصاب، مفردها اللصب: مضيق الوادي.

(٥) الجرعاء: رملٌ مستوية لا نبت فيها.

(٦) البان: شجر ينبت في السفوح، يشبّهون به القامة.

(٧) الكثبان، مفردها كثيب: وهو التلّ من الرمل.

(٨) الخرصان، مفردها الخرص: أي الرمح القصير السنان.

وإذا هوى نَجْدٍ تحكَّم في فتًى ... جعل الردى في حيِّز النسيانِ

وإذا تأملت الغرام رأيته ... في الخلق لم يُخلق لقلب جبانِ

هيهات ليس لعاشقٍ أمنيةٌ ... يسعى إليها في طريق أمانِ

وإذا العواسل[1] دون معسول اللَّمى ... يزداد معها القلب في الخفقانِ

وإذا الخدود القانيات تعرضَّت ... للحبّ سال لها النجيع القاني

وإذا الأُسود وقد تردّت في الحِمى ... صَرعَى أمام كوانِس الغزلانِ[2]

وإذا رجال كتائب النعمان قد ... ذلّت لِعزّ شقائق النعمانِ

وإذا الأعزُّ الأيهم[3] الغيسان[4] قد ... أمسى رقيق الأهيف الغيساني

حالٌ تطيش بها العقول وربَّما ... أخبت ذكاءَ ثواقب الأذهانِ

تُعيي فؤَاد الأحْوَذِيّ[5] كأنّه ... ممَّا أصيب صريع خمر دِنانِ

ما أن يقاوم بأسها بطلٌ ولو ... حازت يداه أعِزّة العقبانِ

تغشى مقاصير العظام ولم تكن ... عنها تعزّ مناسك الرهبانِ

عمّت فإن فاتت عديم القلب بالوجدان ما فاتته بالبرهانِ

لكنَّ ما أودى بعُذْرةَ حبُّه ... لم يختلف بشعوره اثنانِ

وترى القلوب على المحاسن أقبلت ... مثل الدلاء جُذِبن بالأشطانِ[6]

وترى إلى وصل الحبيب حنينها ... يحكي حنين النُّجب[7] للأعطانِ[8]

كيف الخلاف وللفؤاد تأثُّرٌ ... بجميع ما مرَّت به العينانِ

---

(١) العواسِل: الرماح اللدْنة.

(٢) كَنَس الغزال: دخل كناسه (أي بيته).

(٣) الأيهم: الجريء الذي لا يستطاع دفعه.

(٤) الغيسَان: حدّة الشباب وتأتي الناعم.

(٥) الأحوذي: السريع في كلّ ما أخذ فيه.

(٦) الأشطان، مفردها الشطن: وهو الحَبْل.

(٧) النُّجب: كِرام الإبل.

(٨) الأعطان، مفردها العَطَن: والعَطن للإبل كالوطن للناس.

ولقد أُحبُّ من الظباءِ مُهفهفًا ... هو من قبيل الحُوْر والولْدانِ

قد فرَّ من غُرَفِ الجنان وإنَّني ... أدعو ليرضى الله عن رضوانِ

أو كيف لا أهوى الجمال وقد بدا ... من نور ذاك العالم الربَّاني

قسمًا ببهجته وسافِر وجههِ ... ما كنت مقتدرًا على السُّلوانِ

يبدي ليَ اليوم الصُّدودَ وطالما ... قبلاً نعمتُ بحسنه الفتَّانِ

أيَّام أغصان الشباب نواضرٌ ... والعشق دأبي والصبابة شاني

والأمر أمري والسعادة موردي ... والناس ناسي والزمان زماني

أقضي لُبانات الفؤَاد منعَّمًا ... وأَجرُّ ذيل التائه الجذلانِ

بصفاء أوقاتٍ ووصل أحبّةٍ ... وشراب أكواب وعَزف قيانِ

هاتيك أيَّامٌ قضيت وإنَّني ... أمَّنتها من طارق الحدثانِ

وقصمتُ ظهر الدهر بعد عُتوّهِ ... وطعنتُ مهجة بؤْسه بسنانِ

وأَبدْتُ من دنياي كلَّ ملمّةٍ ... وسللت من يمناي كلّ يمانِ

ورغمتُ أنف الحادثات بصولةٍ ... راعت قلوب الأُسْدِ في الغيرانِ

ونضَيت من غمد الشَّكيمة عزمةً ... في الدهر تفري أصلَد الصوَّانِ

وقذفت في مأْتى العظائم همَّةً ... تسمو مصاعدها على كيوانِ[1]

وقطعتُ أوصال العوائق في المنى ... وصدَعتُ شعب الضدّ والعدوانِ

وركّضتُ خيلي في النجاح فأحرزت ... بفراستي قصبًا بكلّ رهانِ

أنا كلُّ ذاك وللكناية موضعٌ ... إن تبدُ حاجةُ حالةٍ لكنانِ

ولقد أريد بذكر أيَّام الصبا ... قومًا خلَوا في سالف الأزمانِ

الأولين السابقين ومن بهم ... في المجد فخر الدين والأوطانِ

الطاهرين الطيبين ومن همُ ... عذر الزمان وبهجة الأكوانِ

---

(١) كيوان: اسم نجم.

وكفاهم أن قد تكوَّن منهمُ ... إنسانُ عين حقيقة الإنسانِ

هو ذلك الرَّجل المعرف بعثه ... للعالمين برحمة الرحمانِ

الجوهر الفرد الذي قد أشرقت ... شمس الحقيقة منه بالتبيانِ

عين الوجود اللامع النور الذي ... ما لاح مثل سناهُ للأعيانِ

العاقب الإكليل مصباح الهدى ... والصادق المبعوث بالفُرقانِ[1]

هو أحمد[2] المحمود من في حَلّهِ ... كنف الوجود تشَرّف الثّقلانِ[3]

فالله يشهد أنَّ طه المُجتَبَى ... هو خيرُ من سارت بهِ قدمانِ

واذكر صحابة صاحب المعراج مَن ... حازوا السباق بأوَّل الميدانِ

الراشدين العالمين إلى الهدى ... والناشرين شريعة القرآنِ

هم عصبةُ الدين الحنيف وشيعةُ الشرع الشريف وفِتيةُ الإيمانِ

تلقَّى أبا بكرٍ بصدرهم اَنبرى ... يَهدي الأُلى رجعوا إلى الكفرانِ

وترى أبا حَفْصٍ[4] يقيم المسجد الـ ... أقصى بهمَّته على أركانِ

يرمي الممالك بالجيوش وقد غدت ... في قبضتَيه شواسعُ البلدانِ

ضربَ القياصرة العظام بصارمٍ ... أنسى البريّة سيف[5] في غُمدانِ[6]

فعنت له بالرغم شُمُّ أنوفهم ... وخَلا لُه كِسرى من الإيوانِ

وأباد فارسَ سيفُ سعد[7] وأذعَنت ... مصرٌ لعمروٍ[8] أيَّما إذعانِ

وقضى الإلهُ علاءَ ذادةَ دِينهِ ... بالنصر والجيشانِ يلتقيانِ

---

(١) الفرقان: القرآن.

(٢) أحمد: رسول الله (ﷺ).

(٣) الثقلان: الجِنّ والإنس.

(٤) أبو حَفْص: هو (أبو حفص البلّوطي)، من فرسان قرطبة. أسّس دولة إسلامية عاصمتها الخندق، بعد خروجه من قرطبة سنة ٨١٨م.

(٥) يريد (سيف بن ذي يزن)، المتوفّي سنة ٥٧٤م.

(٦) غُمدان: قصر قديم في صنعاء.

(٧) هو (سعد بن أبي وقّاص)، المتوفّي سنة ٦٧٥م. من أبطال الصحابة، فتح بلاد فارس، وبنى الكوفة.

(٨) (عمرو بن العاص)، المتوفّي سنة ٦٦٤م. قائد مسلم شهير فتح مصر، وبنى الفسطاط.

فالهَدْيُ فيهم ضاربٌ أطنابه ... والحقّ ملقٍ في الورى بجِرانِ

والدّين تعصف بالممالك ريحُهُ ... عمَّا يُزِلُّ مواقف البهتانِ

بجهاد قومٍ أصبحت أعمالهم ... أبدًا بجِيْد الدّهر عقدَ جُمانِ

فيهم أبو الحسَنَين صفحة سيفهِ ... فجرٌ يُنوِّر ليل كلّ طعانِ

قد كان ليث عرينةٍ وفؤَادهُ ... بحقائق الأكوان بحرُ معانِ

وافى منازل في العلوم تقطَّعت ... عن دَرْكِهنَّ نياطُ كُلّ جنانِ

فلكم حوت تلك الصحابة سادةً ... غُرًّا من الأنصار والأعوانِ

صرفوا إلى الأرواح جُلَّ عنائهم ... وتجانفوا[1] عن خدمة الأبدانِ

أسياف حقٍّ بالهداية قطّعت ... بين العباد هواديَ الأوثانِ

حقّ الفخار بهم لكلِّ موحِّدٍ ... لثبوت مجدهم بكلّ أوانِ

فاذكر فتوحات العقول برشدهم ... تهدي لحقّ العلم والعرفانِ

واذكر لهم فتح الممالكِ في الورى ... من كلّ ناحيةٍ وكلّ لسانِ

من مشرقٍ ذاق النكالَ ومغربٍ ... طلعت عليه كواكب الفرسانِ

هم قدوةٌ للعالمين بها اَهتدى ... شُمُّ المعاطس من أُلي السلطانِ

أهل الخلافة من بني العبّاس من ... بعد الخلائف من بني مروانِ

بلغوا جدار الصين من جهةٍ ومن ... أخرى تخطّوا شاهقَ البِيرانِ[2]

وترى حذاء[3] فروقَ وقع سيوفهم ... وتجاوُب الأصداءِ في السودانِ

والغَزنوية[4] يوغِلون بزحفهم ... في السِّنْد آونةٍ وهندستانِ

وبنو أميّة في الجزيرة حكَّموا ... أمضى ظِباهم في ذوي التيجانِ

---

(١) جَنَف عن الأمر: عدَل عنه.

(٢) بيران: قرية قرب سَمَرقند.

(٣) حذاء: محاذاة.

(٤) الغزنويّون: سلالة من المماليك الأتراك، حكمت شرقي إيران وأفغانستان.

وانظر بني أيّوب لمَّا أعملوا ... في المعتدين عواسِل المُرّانِ[1]

وصلاح دين الله أنزل بطشه ... بالقوم في حِطّين كلَّ هوانِ

ولواء يوسف تاشفين[2] بمغربٍ ... خَرَّت له الأعداءُ للأذقانِ

ثمَّ السلاجقة العظام وإثرَهم ... أصوات ضرب الصَّيلم العثماني

سيف الصناديد المساعير[3] المغا ... وير القروم[4] المعشر الغرَّانِ

ما كان يُنْضَى في وغًى إلاَّ ملا الـ ... دنيا برعب صليلهِ الرنَّانِ

سَلْ عنه عثمانَ القديم وإن تَمِلْ ... لزيادةٍ فاعطِف على أُرخانِ[5]

وانظر مراد وبا يزيد بغربهِ ... قادا الأعادي كلّها بعرانِ[6]

وارمق أبا الفتح الأغرَّ محمَّدًا ... أخنى على جُرثومة الرومانِ

في مأزقٍ والجانبان تصادما ... وتقابل البرَّانِ والبحرانِ

والخيل باشرت البحار فردَّها ... الفرسان فامتنعَتْ على الأرسانِ

والبيض تخطب في الرؤوس رواكعًا ... طورًا وتنطق ألسنُ النيرانِ

حتَّى تصاغرت البلاد لأمرهِ ... واستسلمت ليديهِ مثل العاني

وغدا سليمٌ ربَّ كلّ إيالةٍ ... في الشرق مَحميًّا بهِ الحَرَمانِ

وأتى سليمانُ الزمان بفيلقٍ ... خضعت له الأفلاك في الدّورانِ

مادت لهيبته البسيطةُ ميدَةً ... لم تُبقِ من أُحدٍ ومن ثَهلانِ[7]

وسَعَت عزائمُه الزمانَ وقائعًا ... من كلّ حربٍ في العداة عَوانِ[8]

---

(١) المُرّان: الرماح.

(٢) يوسف تاشفين، المتوفّي سنة ١١٠٦م. سلطان المغرب الأقصى وأول الملوك المرابطين وأشهرهم.

(٣) المساعير: موقدو نار الحرب.

(٤) القروم: (هنا) الأبطال.

(٥) أرخان: هي أرّجان، مدينة في فارس.

(٦) عِران: موضع في بلاد نجد، قرب اليمامة.

(٧) أُحُد وثهلان: جبلان.

(٨) حربٌ عوان: حرب شديدة.

تفدي بني عثمان كلّ قبيلةٍ ... في الأرض أبرزها لنا العصرانِ

حملوا الخلافة والبلادُ طرائقٌ ... في كفّ أهل البغي والعصيانِ

فغدت وقد صارت لهم أطرافها ... تيهًا تجرُّ ضوافيَ الأردانِ

ولهم بها العدل الذي أبدى لنا ... كيف استواء الشاة والسِّرحانِ[1]

حتَّى إذا ما أمنوا فيه الورى ... ردّوا غرارهمُ[2] إلى الأجفانِ[3]

فبمثلهم فلنفتخر وبهديهم ... فَلْنُهْدَ بعد تقاعدٍ وتوانِ

في السالفين من الأفاضل عبرةٌ ... تجلو المِراء بأقصر الإمعانِ

في كلّ يومٍ من برازخهم[4] لنا ... داعٍ يُنبّه خاطرَ الغفلانِ

أو لا نجيب ونحن أحيا في الوَرى ... يومًا نِدا الأجنان في الأجنانِ[5]

أن نعتدر بزماننا وطباعه ... فهي العوارض لم تُخصَّ بآنِ

إنَّ المبادئ لا تزال فواعلاً ... ما بين ما يتعاقب المَلَوانِ[6]

فيها يكون إلى الحصول توسُّلٌ ... وبدون ذلك علّة الحرمانِ

يغدو الزمان بها على أحوالهِ ... بالناس من زيدٍ ومن نقصانِ

والعقل لا يعنو لحالاتٍ إذا ... ما شاءَ أوقعها بحال تفانِ

وإذا تحصَّلت الشجاعة لم تكن ... عند المحصّل غايةَ الإمكانِ

فلنعلمنَّ فالرأي في نيل المنى ... هو أوّلٌ وهي المَحلّ الثاني

---

(١) السِّرحان: الذئب.

(٢) الغِرار (من السيف): حَدّه.

(٣) الأجفان: الأغماد.

(٤) البَرزَخ: ما بين الدُّنيا والآخرة؛ ويريد بها: الدار الأُخرى.

(٥) الأجنان: الأموات، والأجنان (الثانية): القبور.

(٦) المَلَوان: الليل والنهار.

ولـه

أقلُّ عذابي ما تصاب مقاتلي ... وأضبعُ[1] نصحي ما تقول عواذلي

وأسعرُ ناري ما تكنُّ جوانحي ... وإهداء حالي ما تَهيْجُ بلابلي[2]

تفيض دموعي كلَّما لاح بارقٌ ... وتطرب من مَرّ النسيم شمائلي

وإنِّي لتشجوني الحمائم إن شَدَتْ ... على عَذَبات البان عند الأصائلِ

سواجعُ بالشكوى يَنُحنَ على النوى ... نواعمُ لا يعرفن غير الخمائلِ

يبكين أوقات الصفاء التي خلت ... وأبكي لأيَّام الصِباء الرواحلِ

وإنِّي لَصَبٌّ لم أزل أندبُ اللقا ... بدمعٍ طويل الذيل هامٍّ وهاملِ

حنيني إلى عهد الوصال وأهلهِ ... وسهدي على هجر الخليط[3] المُزايلِ[4]

ولكنَّه قد دمَّثَ الحبّ مهجتي ... وروَّق إعنات الغرام مناهِلي

تفرَّدتُ في طبعٍ إلى الحبّ نازعٍ ... وقلبٍ على حكم الصبابة نازلِ

فيطربني همس القصائر[5] في الحمى ... ويعجبني في الرمل هَديُ المطافلِ[6]

وأهوى لحاظِ العين معسولةِ اللمى ... وأعشق ربّات الخصور النواحلِ

وأختال في غيّ الهوى غير عابئٍ ... وأمرح في بذخ الصِبا غير سائلِ

وإنِّي ليجري في جناني هوى الحمى ... وحبُّ اللُّمى مجرى الدِّما في مفاصلي

فيا ظبية الكثبان حسنكِ فاتِني ... ويا غادة الجرعاء حبّكِ قاتلي

---

(١) الضبع (هنا): السّوء والشَّر.

(٢) البلابل: شدّة الهمّ ووسواس الصدر.

(٣) الخليط: الصديق.

(٤) زايل: فارَقَ.

(٥) القصائر، مفردها القصيرة والقصورة، من النساء: المحبوسة في بيتها لا يُسمَح لها بالخروج.

(٦) المطافل، مفردها المُطفِل: الناقة التي وضعت أولادها حديثًا، تتمهّل في سَيرها ليلحق بها أولادها.

ويا هذه الأعطاف رمحكِ طاعني ... ويا هذه الألحاظ سحركِ بابلي

ويا عاذلي أقصِرْ فلست بوازعي ... أطلتَ بتعنيفي على غير طائلِ

سأمنع عن عيني لأجلك نومها ... وأقسم ما تبكيه بين المنازلِ

وأجرى بمضمار الهوى متهتِّكًا ... أجرر في شَوطي فضول الغلائلِ

لأَعشقُ حتَّى ليس لي من معادلٍ ... وأكلفُ حتَّى ليس لي من مماثلِ

وأرهن هذا القلب للغِيد والمهى ... واجعل هذا العقل مَهر العقائلِ

وما الحبّ إلاَّ خُلق كلّ مهذّب ... وما الوجد إلاَّ شأْن كلّ حُلاحِلِ[1]

وما الحسن إلاَّ دون كلّ عرينةٍ ... وما الوصل إلاَّ في مجال الغوائلِ

إذًا كلّ طرفٍ ذابلٍ[2] عند ذابلٍ ... وكلّ قوامٍ عاسلٍ[3] دون عاسلِ

تجول جياد الخيل في كلّ عَرصة[4] ... وأنضي إليها كلّ يومٍ رواحلي

وتحمي سيوف الهند عن كلّ كلةٍ ... لقد طالما علّقت فيها حمائلي

أزور خيام الربع غير مُواربٍ ... وأغشى ديار الحيّ غير مُخاتلِ

وإنِّي من الشعب الذين إذا سعوا ... يجلون قدرًا عن حؤول الحوائلِ

ألم ترَهم بالأمس حزمًا وقوَّةً ... مفاعيلهم في الأمر قبل المقاولِ

فما آجلٌ يرجونه غير عاجلٍ ... وما عاجلٌ يأبونه غير آجلِ

لقد خيَّبوا آمال كلّ معارضٍ ... وقد زلزلوا أقدام كلّ مُنازلِ

بشُقرٍ سراحيب[5] وسُمرٍ ذوابلٍ ... وبِيضٍ أصاليت[6] وصُفرٍ عياطلِ[7]

غداةً بلاد الناس شرقًا ومغربًا ... أطلّوا على أقطارها بالحجافلِ

---

(١) الحُلاحل: السيّد في عشيرته، الشجاع التامّ.

(٢) الطَرف الذابل: من علامات حُسْن المرأة.

(٣) الذابل والعاسل: من أسماء الرمح.

(٤) العَرصة: ساحة الدار.

(٥) السراحيب: الخيل المتناسبة الأعضاء.

(٦) البيض الأصاليت: السيوف المصقولة الماضية.

(٧) العياطِل: النوق الطوال.

لقد دكدكوا الأجبال فيها وشيَّدوا ... سِواهُنَّ شُمًّا من غبار القساطلِ[1]

سقوا تربة الأرضين سهلاً ومرقبًا ... من الدم بالأنهار لا بالجداولِ

أطاروا قلوب الكاشحين وأرقصوا ... فرائصهم من كلّ حافٍ وناعلِ

فقد جرَّدوا في الله كلّ عزيمةٍ ... أطاشت عن السمحاء نبل المناضلِ

وقد سحقوا بطشًا رؤُوس عداتهم ... وقد نزَّلوهم من رؤُوس المعاقلِ

فما زال منهم باخعًا كلّ عاملٍ ... وما زال فيهم عاملاً كلّ عاملِ

إلى أن ولوا بالسيف أقصى بلادهم ... فلم يدَعو فيها مجالاً لجائلِ

فهم خير من في الأرض سلّوا صوارمًا ... وقادوا عِتاق الخيل قُبَّ الأياطل[2]

وهم خير من ضمّوا اليراع إلى القنا ... وهم خير حدٍّ بين حقٍّ وباطلِ

لقد نشروا العلم الحقيقيَّ في الورى ... على حين تغلي الحربُ غَلْيَ المراجلِ[3]

وقد خطبوا في الأرض بالحقّ من على ... منابر عزٍّ من مُتون الصواهلِ

أزالوا سفاهات الشعوب وبدَّلوا ... سفاسفهم بالمكرمات الجلائلِ

وشادوا على تلك الرسوم حضارةً ... أقيمت على أُسِّ التُقى والفضائلِ

فأصبح منهم عامرًا كلُّ غامرٍ ... وأضحى لديهم مُمرِعًا كلُّ قاحلِ

زها ونما نبت الوشيج بأرضهم ... وفي مُدْنهم زادت فنون الصياقلِ

أولئك آباءِي فجئني بمثلهم ... وإلاَّ فهم في الأرض خير القبائلِ

رجالٌ لديهم راق جمع مناقبٍ ... عفافٍ وأقدامٍ وجزمٍ ونائلِ

بدورٌ بآفاق الزمان أوافلٌ ... نَحيبي على تلك البدور الأوافلِ

أقاموا زمانًا ثمَّ مرَّ عليهم ... عتوُّ الدواهي والليالي الدوائلِ

زمانًا قضوه بالعلاء ولم تكن ... ليالي عُلاهم بالليالي القلائلِ

---

(١) القسطل: الغبار الساطع في الحرب، يريد كأنهم أقاموا منه جبالاً بدلاً من الجبال.

(٢) قبّ الأياطل: صفة لأصائل الخيل، وهي من قَبَّ الحَصر أي دقّ وضمر، والأيطل: الخَصر.

(٣) المراجل، مفردها المِرجَل: القِدْر من نحاس يُطبخُ فيها.

كذلك قد كانت أوائل قومنا ... ألا ليتنا نبني بناءَ الأوائلِ

ونُحيي رسومًا غادروا لاعتبارنا ... فأصبح منها دارسًا كلُّ ماثلِ

أما نحن من حازوا الغنى بعقولهم ... وجادوا على كلّ الورى بالفواضلِ

وقد كان منَّا كل نَدْبٍ مُجرّبٍ ... بنور الحجى جالٍ دياجي المعاضلِ

وكلّ همامٍ مشبع الحِجْر راشدٍ ... موفق آراءٍ دليل مجاهلِ

وكلّ إمامٍ كالغزاليّ وهو مَن ... إذا قال لم يترك مجالاً لقائلِ

وكلّ حكيم كالرئيس[1] الذي جرى ... وخلَّى أرسطو خلفه بمراحلِ

وكلّ أريبٍ كابن رشد[2] ومن على ... هُداه وكالرازي[3] شيخ الفطاحلِ

وكلّ مليكٍ في الدروب مجاهدٍ ... وكلّ أميرٍ للعداة مباسلِ

فبالشرق منهم كالرشيد وقومه ... وبالغرب منهم ناصرٌ بعد داخلِ

ولا تنسَ في وادي الفرات وجلّقٍ ... وفي مصر آثار الصلاح وعادلِ

ولا سادةً منهم محمَّد جاعلٌ ... بقبضته البرَّين دون مُطاولِ

لَعمري إذا ندري الأمور فإنَّما ... زوال العنا بين القنا والقنابلِ

وغرُّ العلى فوق العوالي دواميًا ... ونَيل المُنى دون المَنى[4] والمناصلِ

لنِعْمَ نداء الحرب في كلّ أمّةٍ ... أناخ عليها دهرُها بالكَلاكلِ

لينشر من أكفانه كلّ ميّتٍ ... ويوقظ من تهويمه كلَّ غافلِ

فذلك أمرٌ لا يزال مجدَّدًا ... نشاهده فليذكرَن كلُّ ذاهلِ

إذا ضاق عنه النثر فالبحر واسعٌ ... بنا والقوافي رافدات الفواصلِ

---

(١) الرئيس: لقب ابن سينا الفيلسوف والطبيب.

(٢) ابن رشد: الفيلسوف المعروف.

(٣) أبو بكر الرازي: أشهر أطبّاء الإسلام وفلاسفتهم.

(٤) المَنى (بفتح الميم): الموت؛ وتؤنَّث، فتقول: المنيّة.

وكتب

يا جمال الإسلام والإسلامُ ... صدَّه عن هوى الجمال الملامُ

مثلما أنت في الحياة وإلاَّ ... فحياة الفتى عليه حرامُ

هكذا إن يصحّ في الأرض مجدٌ ... دونه كلُّ ما نرى أوهامُ

همم دونها الكواكبُ مثوىً ... ومضاءٌ من دونه الأيَّامُ

قاذفاتٌ على المصاعب عزمًا ... لو تبدَّى تدكدك الأعلامُ[1]

مثل هذا حويت يا رجل الأر ... ض فماذا عسى يدلّ الكلامُ

لم تزَل تُحرز المحامد حتَّى ... كلّ حمدٍ له عليك ذمامُ

أنت فردٌ فيما شملت ولكن ... في اقتدار الجنان أنت لُهامُ[2]

لك نفسُ الأملاك في عزّة الـ ... أفلاك في جُود مَن يداه الغَمامُ

لك طبعٌ سامٍ ووجهٌ وسيمٌ ... أدبرَ الظلم منهما والظلامُ

ورموزٌ ملء الحقائق طُرًّا ... وعلومٌ فوق العلى أعلامُ

ويراعٌ كالغيث منه انسكاب ... وذكاءٌ كالنار فيها ضِرامُ

ومعانٍ لو أُوحِيَت لجمادٍ ... هزَّه الشوق نحوها والغرامُ

حيّرت كلّ ذي حصاة[3] إلى أن ... قيل لا شكّ أنها إلهامُ

كلّ هذا حوى الجمال ووافى ... يا جمال الدنيا عليك السلامُ

كلُّ حيٍّ لم يَحذُ فضلك حذوًا ... كلُّ ساعات عمره آثامُ

---

(١) الأعلام: الجبال.

(٢) اللُّهام: الجيش الكثير "يريد أنَّ الأفغاني كان أمةً وحدَهُ".

(٣) الحَصاة: العَقل.

فلتطاول بك الكواكب وليفخر بعلياك آدمٌ لا سامُ[1]

وتُجِبْ ما تدعو إليه وإلاَّ فلِحَقّ النفوس منّا اهتضامُ

كلّ نفس قصد الفلاح عليها طلفًا[2] ليس تخلق الآنامُ

وقبيحٌ يا نفس قولك هذا فوق همّي وقوَّةٌ لا تُضامُ

أبدع الله في العباد أمورًا وعليها عليهم الإقدامُ

حسبنا الله من وكيلٍ ولكن لنقل مثل ذا ونحن قيامُ

دون نَيل العلى رُبىً ووهادٌ لا ننال العلى ونحن نيامُ

نطلب المجد من سوانا ولكن لم يُسَوّد عصام[3] إلاّ عصامُ

يا زمانًا أتى بكلّ عجيبٍ أيّ يومٍ كنّا وخَسفًا نُسامُ

جئ بما شئت يا زمان غريبًا وتَحكّم إذا أنت لست تلامُ

إنَّ أمرًا أصحابه تركوه بعد ما أفطروا عليه وصاموا

فغدوا مثلما جعلت وما كا ن إلهي مغيِّرًا لو داموا

يا جمال الإسلام إنّي امرؤٌ ممَّن عليهم والله ضاق الكِظام[4]

عبثًا يُجهز الزمان علينا ما لِجُرحٍ بميّتٍ إيلامُ

ليس يخلو الزمان يومًا من الـ عبرة لكن قد شُلَّت الأفهامُ

حالةٌ عن فِصال أمثالها الـ أيّام قد مسَّها لعمري العُقامُ

منك يُرجى يا سيِّدي يا جمال الـ دين وَصْلُ الحِبال وهي رِمامُ[5]

أنتَ للمسلمين في دينهم حجّة حقٌّ لغيرهم إلزامُ

---

(١) سام: ابن نُوح.

(٢) الطَّلَف: الهيّن من كلّ شيء.

(٣) يريد: ما جعل عصام سيِّدًا غير عصاميّته، والعصاميّ: مَن شرُف بنفسه لا بآبائه.

(٤) الكِظام: مخرَج النَفَس.

(٥) رمّ الحبل: تقطّع.

عَطِّف النفس ما استطعت علينا ... نحن لولاك في الورى أيتامُ

ما شككنا في أن تنال الأماني ... سيِّدٌ أنت والزمان غلامُ

أعجبنا للفُرْس إذ بصنيع الـ ... ـدولة اليوم حفَّك الإعظامُ

إظهر اليوم يا محمَّدُ وابهَرْ ... أنت في المشرقَين بدرٌ تمامُ

وتغلَّب على العوائق واجعل ... كلّ ما لا يُرام ممَّا يُرامُ

قاطعٌ رأيك المسدَّد في الـ ... ـدهر الذي ليس يقطع الصَمصامُ

فيك يأتي القريض منتظمًا عف ... وًا وتنساب وحدها الأقلامُ

ذا مجالٌ إن تجتنبه خناذيذ[1] الـ ... ـقوافي فإنَّني الضِرغام

فامهُر اليوم ما زففت قبولاً ... يا جمالاً أنا به مُستهامُ

خدم الدهر باب عزّك بالإخـ ... ـلاص ما واصل افتتاحًا ختامُ

---

(١) الخِنذيذ: الشاعر المُجيد.

وكتب بها يمدح حضرة رأس الأساتذة وفخر الجهابذة الشيخ محمّد عبده المصري الشهير

لقلبيَ ما تهمي العيون وتأرقُ ... وللعين ما يبلي الفؤاد ويُرهقُ

وما كنتُ ممَّن يدخل العشق قلبه ... ولكنَّ من يدري فنونك يعشقُ

وما كنتَ ممَّن يَرشق السهم لحظه ... فيهوى لذا لكن يراعك أَرشَقُ

أصبت به كلّ القلوب وإنَّه ... لينضحها بالنبل قبلَ يُفَوَّقُ[1]

تركت الورى أسرى هواك وإنَّما ... أسيرك في ميدان فضلك مُطلَقُ

لديك استرقتهم من الطبع رقّة ... فأنت لهم حقًّا رقيقٌ ومُعتِقُ

جذبت بهاتيك المعاني قلوبهم ... وتيَّمها والله ذاك التأنُّقُ

وعذَّبتها بالحبّ ممَّا فتنتها ... فلم تكُ بالقلب المتيّم ترفقُ

فقرَّحها وجدًا فتون قريحةٍ ... وشقَّقها ذاك الكلام المُشقَّقُ

كلامٌ إذا ألقيته في جماعةٍ ... غدا منك مثل اللؤلؤ الرَطب يُنسَقُ

عليه من النور الإلهيِّ مسحةٌ ... تكادُ على أرجائه تتألَّقُ

مناهل ألطافٍ وأعين حكمةٍ ... تظلُّ على روض المعارف تُغدَقُ

يبيت بها غصن البلاغة ناضرًا ... وريقًا على نبت الفصاحة يَسمُقُ

سلامٌ على وجه الإمام محمَّدٍ ... محيًّا به ماءُ الحيا يَترقرقُ

ولله دُرُّ البحر دَرُّ محمَّدٍ ... تتوَّج منه للمعارف مَفرقُ

وأخلاقه الغرَّا إذا شئتُ وصفه ... وإن لم أشأ توحي إليَّ وأنطقُ

---

(١) فَوّقَ السّهم: وضع فُوْقَته في الوتر ليرمي به، والفُوْق: مَشَقّ رأس السّهم حيث يقع الوتر.

ولكنَّني أثني عليه مقصّرًا ... ولي مِقوَل[1] فيمن سواه مذلَّقُ[2]

إمامٌ بخصل العقل والنقل فائزٌ ... سبوقٌ لغاياتٍ حكيمٌ مُحقِّقُ

به فخر أهل الشرق طُرًّا وإن يكن ... تشارك في حسناه غَربٌ ومَشرقُ

إذا ما انبرى في حَلْبة الفضل قصّرت ... حوالي مداه حلبةٌ هُنَّ سُبَّقُ

خطيب الورى بالحقّ للحقّ مظهرٌ ... ظهيرٌ وللبُطْلان مُردٍ ومُزهقُ

إذا قام من فوق المنابر فاصلاً ... فأيُّ ضلال ليس يُمحى ويُمحقُ

تميدُ الورى عند استماع خطابه ... وتعجب للأعواد إذ ليس تُورِقُ

فما قام بالحقّ الحنيفيّ صادعًا ... وللكفر شملٌ بات ليس يُمزَّقُ

تدفَّق بحرًا بالمعاني فؤَادهُ ... على أنه كالأفق بالنور مُشرقُ

وفي لفظه للسُكر كأسُ سُلافةٍ ... يُدار على الألباب وهو مُروَّقُ

فكلُّ لسانٍ عن مزاياه عاجزٌ ... وكلّ كلامٍ في ثناه مشفَّقُ[3]

تَعشَّقه كلّ القلوب كأنه ... بكلّ قلوب العالمين مُعلَّقُ

له القلم المشهور يزري مِداده ... بتبرٍ إذا في مُهْرَقٍ هو مُهرَقُ[4]

يسيل بماءِ اللّطف في هَدي ملةٍ ... يظلُّ على أعدائها يتبعقُ

عجايب مولىً في محمَّد عبده ... وربّك يعطي ما يشاءُ ويَرزقُ

سأفخر في كلّ الأنام بأنني ... بنعماه جِيْدي بالنّضار مُطوَّقُ

فجالست بدرًا نوره متكاملٌ ... وحدثت بحرًا فضله متدفِّقُ

وقمت لعمري للزمان مخاصمًا ... لأني بباهي فضله مُتربقُ[5]

---

(١) المِقْوَل: اللّسان.

(٢) الذَلِق: الذَرِب أو الطَلْق.

(٣) مُشَفَّق: مُقَلَّل.

(٤) المُهْرَق: الصحيفة.

(٥) جاء في الحديث: " لكم العهد ما لم تأكلوا الرّباق "، فشبّه ما يلزم العهد بالرّباق، والأرباق: ما لازم الأعناق.

لئن قلت لن أدري مدى العمر مثله ... بعلمٍ ولن أدري فَهَل أنا مُغْرِقُ[1]

لك الله يا مولايَ هل من فضيلةٍ ... بهذا الورى إلاَّ بها أنتَ أَلبقُ

خُلِقتَ حليفًا للسيادة والعلى ... فكلُّ فواقٍ نلته بك أَخلَقُ

إليك حثثتُ المدح علمًا بأنه ... ليعجبك المطبوع لا المُتلَهوِق[2]

وفي أملٍ أني لدى فعل واجبٍ ... أُسَكِّنُ قلبًا دونه بات يَخفُقُ

فذاك فؤادٌ قد غدا مذ طحا به ... نواكَ على جمر الغَضَا يَتحرَّقُ

وإنَّ الهوى قبل الفطام عرفته ... فهلاَّ الام اليومَ والعمر رَيِّقُ

إذا نال مثلي من كلامك لفظةً ... تشرّفه فهو السعيد الموفَّقُ

---

(١) مُغرِقُ (هنا): بمعنى مُبالغ.

(٢) التَّلَهْوُق: التملُّق.

وقال يمدح حضرة الوزير الأكبر علي باشا باي صاحب تونس الخضراء ويُقَرّظ تأليفه المسمّى بمناهج التعريف في أصول التكليف

عُجْ باللِّصاب وعُنقُ الليلِ مقطولُ[1] بصارم ابن ذكاءٍ وهو مسلولُ

ترى على المنحنى ريَّانةً منعت في مربعٍ لم تُبلغه المراسيلُ

ولَّت إليه وقلب الصب مُنهتكٌ متيّمٌ إثرها لم يُفدَ مكبولُ

تقلُّها من ذوات الخَفّ لاحقةٌ خمصانة[2] لا تباريها الأجافيلُ[3]

ما بين رائم مرماها ومربعها حيٌّ أخو البأس في واديه إجفيلُ[4]

إن طاش عن مبتغيها سهم مُقلتها فسهم تَبعادها في القلب منصولُ

تجلو عوارض ذي نعجٍ إذا التفتت ففيه للشاربين المآء مبذولُ

أضحى يُسلسِل ماءَ الحُسن عارِضها كأنه منهلٌ بالراح معلولُ

إذا أساغته مرشوفًا لعاشقها يومًا فما باذق[5] بالماءِ مقتولُ

بمثل ما إن غدت تفترُّ عن شنبٍ كأنَّ مرشفه بالشهد معسولُ

باتت سعاد عنى ذا كلّه وغدت تضفو عليها من النُعمى سرابيلُ

إذا تمر الصبا في خدرها غَلَسًا[6] راحت عليها من الريّا مثاقيلُ

كذاك حتَّى إذا شمس الضحى طلعت قامت ومنها وشاح الصدر محلولُ

قامت سعادُ تحيينا فما قمرٌ على قضيبٍ على الكثبان محمولُ

---

(١) المقطول: المقطوع.

(٢) خمصانة: ضامرة البطن، وهي السريعة من الإبل.

(٣) الأجافيل، مفردها الإجفيل: وهو النافر مسرعًا من الحيوان.

(٤) إجفيل: جبان.

(٥) الباذق: الخمرة، أو شاربها (دخيل من الفارسيّة).

(٦) الغَلَس: ظلمة آخر الليل.

جلت محاسنَ ما يُلفى لها مثل ... وما لملتمِسٍ منهنَّ تنويلُ

نقول بدرٌ وغصنٌ كي نشبّهها ... وإنّما قولنا يا صاح تمثيلُ

فلا يغرَّنكَ في مثلٍ لها طمعٌ ... فدون أمثالها العنقاءُ والغُولُ

حتّى إذا شُغف القلب الذي اجتذبَتْ ... بانت سعادُ فقلبي اليوم متبولُ

يحاول الجهد كي يقتصَّ مدرَجَها ... وهل يطيق تباع العِيس مغلولُ

تجوب جَوز الفلا في كلّ ناحيةٍ ... تزِلُّ عن متنها رقطاءُ[1] زُهلولُ[2]

مرثومةٌ[3] بالبُرَى[4] خلّت مخاطمها[5] ... جذبًا كما غودر الثوبُ الرعابيلُ[6]

فاعطف على طللٍ بالجِزع إنَّ دمي ... منها على طلَلٍ بالجزع[7] مَطلولُ[8]

كانت لنا غرُّ أوقاتٍ مضت معها ... والخطبُ منهزمٌ والهمّ معزولُ

تلك الليالي التي ما بتُّ أذكرها ... إلاَّ شجيتُ وبي اهتاجت عقابيلُ[9]

كنّا نَهيمُ بها والعمر مقتبلٌ ... والعيش غضٌّ وربع الأنس مأهولُ

في كلّ وادٍ من الآرام ليس به ... إلاَّ أغنُّ غَضيض الطَرف مكحولُ

أمّا الليالي فقد عادت وهُنَّ بنا ... من بعد ما كنَّ أطفالاً مطافيلُ

ولّت سعادُ وبُدّلنا بها جزعًا ... وكلّ شيءٍ له في الأرض تبديلُ

فلا يغرَّنكَ من دنياك زخرفها ... فما زخارفها إلاَّ الأباطيلُ

إنّا نزلنا على وادي تضلّل قد ... تدفّقت من حوالينا الأضاليلُ

---

(١) الرقطاء: حيّة خبيثة.

(٢) الزُهلول: الأملَس.

(٣) مرثومة: في أنفها بياض (مِن حُسْن)، والرثم (مطلقًا): كَسْرُ الأنف.

(٤) البُرَى، مفردها بُرَة: وهي كلّ حلقةٍ من سِوار وقِرط وخِلخال.

(٥) المِخطَم: الأنف.

(٦) ثوبٌ رعابيل: ممزّقة، لعلّه يريد أنّ هذه المرأة غدت نهبًا لكلّ طامعٍ.

(٧) الجزع: محلّة القوم.

(٨) مطلول: مهدور (طلّ الدم).

(٩) العقابيل: الشدائد.

يمدُّ في كلّ يومٍ للورى شَرَكًا ... والناس منهم به ناجٍ ومحبولُ

فمَن سعى عن طريق الغيّ مبتعدًا ... فَحبْلُ مسعاه بالخيرات موصولُ

ومَن تهافت عمدًا في ضلالته ... فليعلمنَّ فعرش الكفر مثلولُ

كم زلزل الله من قومٍ لكفرهم ... قدمًا وأهلك جيلٌ قبله جيلُ

فليس تبرح للرحمن حاميةٌ ... لتزهق البُطل إنَّ البُطل زِحليلُ[1]

هل بايُ تونسَ إلاَّ السيف جرَّدهُ ... في الأرض ربّي فَحدُّ البغي مفلولُ

فاليوم للرشد بين الناس واسطةٌ ... وللتعسُّف والإلحاد تذليلُ

وللمعارف والآداب منتشرٌ ... وللمعاضل تمهيدٌ وتسهيلُ

بكفّ أبلج ميمونٍ مطالعهُ ... فَخْمُ الجناب وقَيْل[2] قِيلُه القِيلُ[3]

أشدَّ أوسع من في ذرعه سعةٌ ... طولاً وأطول مَن في باعه طولُ

مشبوب عزمٍ بحُسن الحَدس متّقدٌ ... فوءَادُه وبحبّ الله مشغولُ

يلاحق القصد بالتسديد منتهجًا ... إذا انتحت هِديّةَ الساري العواقيلُ[4]

إذا تغضّف[5] جنح الخطب معتكرًا ... فما على غيره في الكشف تعويلُ

من معشر المؤمنين الغُرَّ مَحتِده ... لدى عمامته تعنو الأكاليلُ

ينقضّ كالنسرِ في الهيجا العَوان وقد ... تساقطت من حواليه الأراجيلُ

في موطنٍ زاغت الأبصار فيه بما ... جالت بحومته الجُرْدُ المهازيلُ[6]

فما تهزَّم من أبطاله صخبٌ ... إلاَّ وأعداه مهزومٌ ومتلولُ

وقد يميلُ بزحفٍ للعراك فما ... يلقاه أعداؤُه إلاَّ وهم مِيلُ[7]

---

(١) الزحليل: المكان الضيِّق الزَّلِق.

(٢) القَيل (بفتح القاف): الملك.

(٣) القِيل (بكسر القاف): التلفّظ والجواب والغَلَبَة، فهو المبتدئ والمُجيب والنافذ الكلمة.

(٤) العواقيل، مفردها العاقول: الأرض لا يُهتدى إليها.

(٥) تغضّف (الليل): ألبَسنا سَواده.

(٦) الجُرد المهازيل: الخيل الضامرات.

(٧) المِيل، مفردها الأميَل: وهو الذي يميل على السَّرج ولا يستوي عليه، وقيل: هو الجبان.

يخشون كَرّاته اللاّتي إذا اعترضوا ... تخاذلوا وهم منها شماليل[1]

بفيلَقٍ لَجِبٍ من كلّ ملتثمٍ ... لهُ صديقٌ غداة الحرب عِزريلُ

مقذَّفٍ يقذف الصادي بصهوته ... إذا علا النَقْع تكبيرٌ وتهليلُ

لله هذه عُلى بايُ الزمان فهل ... لمثل محصوله في المجد تحصيلُ

عن مثل علياه كفُّ الدهر قاصرةٌ ... وأعين السخط من حسّاده حُولُ

فليس ينضي لروعٍ عَضْبَ هِمّته ... إلاَّ وتنجاب في الحال العراقيلُ

وليس يمسك عن عافٍ مواهبه ... إلاَّ كما يمسك الماءَ الغرابيلُ

ما شئت من همم شُمَّا ومن كرمٍ ... طامٍ بتعميمه قد أُبطِل السُول[2]

ومن عوارف بحرٍ لا يطاولها ... ذو الفضل في الأرض ألا وهو مفضولُ

ومن معارف نحرٍ في مواردها ... يُروي من العلم ظمآنٌ ومغلولُ

حقائقٌ طيّ ذاك الصدر محرزةٌ ... على شتاتٍ فمعقولٌ ومنقولُ

تزهو بهنَّ تآليفٌ مفرَّدةٌ ... على افتراقٍ فتجميلٌ وتفصيلُ

منها مناهج للتعريفَ واضحةٌ ... يدلّ سالكها حكمٌ وتعليلُ

تجلو بفصل خطابٍ كلّ مسألة ... عَوصَا وإن كثرت فيها الأقاويلُ

الله أكبر هذا فضل سيِّدنا ... فأين من وصفه مدحٌ وتبجيلُ

يبغي جميع الورى إيفاه دَينَ ثَنا ... فيعجزون ودَين الشكر مَمطولُ

وكيف يبلغ حقّ الوصف ممتدحٌ ... مَنْ سِرُّ عُنصره وَحيٌّ وتنزيلُ

مهلاً أبا حسنٍ نجل الحسين فما ... أنتم أيا سادتي إلاَّ بَهَاليلُ[3]

تزهو بكم تونسُ الخضراءُ ممرعةً ... وليس يزعب[4] في أغوارها النيلُ

---

(١) شماليل: متفرّقون.

(٢) السُّول: السؤال عن حَسَنَةٍ، أو أُعطية.

(٣) البهاليل، مفردها بُهْلول: السيّد الجامع لكلّ خَير.

(٤) زَعبَ النهر: تَدافَع سيله في الوادي وملأه.

كفاكُم شرفًا أهل الحسين فهل ... مُقصرٌ عنكمُ في الوصف معذولُ

أثني عليكم بتقصيري على أملٍ ... لعلَّ عذريَ عند الباي[1] مقبولُ

وقد أعارض فيكم فارسًا نكلاً[2] ... لا يترك القِرن إلاَّ وهو مَجدولُ

فيا مليكًا تقاصى في ممالكه ... لكنْ لنعمته في الأرض تظليلُ

إن كنتَ بدرًا بأفق الغرب مُنبلِجًا ... فالشرق من لطف ذاك النور مشمولُ

فاسلم وعزُّك للأحلاف معتصَمٌ ... من الرزايا وللأعداءِ تنكيلُ

وارعَ الحنيفية البيضاءَ معتصِمًا ... بالحقّ والله بالتوفيق مَسئولُ

---

(١) باي: لقَب تونسي.

(٢) الفارس النّكِل: الذي يدفع أعداءَه ويُذلّهم، وهو الفارس الذي يغلبُ قِرْنَهُ.

وقال يمدح العالم العلاّمة
الشيخ محمّد عبده ويهنّئه بالأضحى

هل الدهر إلاَّ ذا النهار وضدُّه ... يعاود كلاًّ منهما الدهر ندُّهُ
بدور فمن أيّ الجهات ابتدرتَه ... وتابعته تبدا به وتَحدّهُ
ولا خير في يوم يمرّ على الفتى ... إذا لم ينَل فيه ثنًا يستجدُّهُ
فليست حياة المرءِ إلاَّ شهادة ... على فضل مولاه فيظهرُ مجدهُ
إذا كان لا يختار تمجيد ربّه ... فإنَّ الإله اختار ما فيه نكْدُهُ
وإلاَّ ففي دار الفناءِ ثناؤهُ ... مقامٌ وفي دار السعادة خُلْدهُ
وحيّ غدا في ما سوى الروح ميّتًا ... لقد حلَّ عندي حيثما حلّ وأُدهُ
ومن كان لا يوتي الجماعة نفعه ... فإغفاله فيها سواءٌ وعَدّهُ
لعمرك ليس العمرُ في المرءِ عيشه ... ولكنَّ حقّ العمر في المرءِ حمْدهُ
فأحجى به[1] إجهاد ما بات فاقدًا ... لإحراز شيءٍ ليس يَحسن فقدهُ
فيغنيه عن رغد المعيشة شكرهُ ... وليس بمغْنيه عن الحمد رغدهُ
كذا السيف معدومٌ وقد غاب نصله ... وليس بمعدوم وغاب فِرندهُ[2]
وما الحمد إلاَّ الجدّ فهو وراءَهُ ... وما الجِدُّ إلاَّ الجَدُّ فهو مُعِدُّهُ
وهل قيمة الإنسان إلاَّ فعاله ... وهل قَدْرهُ إلاَّ عناهُ وجهدهُ
ولولا اشتغال المرءِ ما ذاع ذكرهُ ... ولولا اشتعالُ العود ما ضاع[3] ندّهُ[4]

---

(١) أحجَى به: أخلَق به وأجدَر، والحِجَى (لُغةً): العقل.
(٢) الإفْرَند: جَوهر السيف ووشيُه (دخيل من الفارسيّة).
(٣) ضاعَ (فعل ماض): تَوَضّع وانتَشَر.
(٤) النَّد: عُودٌ طيّب الرائحة.

فأجمل من خَضْبٍ بكفّك شغلها ... وأحسن من كحلٍ بطَرْفك سُهْدهُ

وأصلح من ذلٍّ بنفسك موتها ... إذا كنت ممَّن مَورد العزّ وِرْدهُ

كذا فلتكن تلك الحياة التي أرى ... وإلاَّ فكم سهل على الحرّ لِحْدهُ

أودُّ بها خلقًا كثيرًا وإنَّما ... أودُّ من الأيّام ما لا تَودّه

تودُّ بنا الأيام كُلَّ غضاضةٍ ... يسوغ بها نكب اللبيب وضهدهُ[1]

فلا سالمٌ من ريبها غير مُتّقٍ ... من الهمّة العليآءِ أُحكِمَ سردهُ

وهل كلّ نفسٍ بالعلاءِ منوطةٌ ... وهل كلّ قلبٍ بالفضائل وِجدهُ

وما كلّ حيٍّ نفسه كلّ حيّة ... وما كلّ سيفٍ يقطع الهامَ حدّهُ

لقد آثر المولى بنعماه أنفسًا ... فلا غرو أن يسعد محمَّد عبدهُ

هو البدر لكنَّ المعالي سماؤُهُ ... هو النجم لكنَّ الفضيلة سعدهُ

هو الليث لكنَّ المحامد غابُه ... هو السيف لكنَّ المكارم غمدهُ

هو البحر عن كلّ النقائص جزرهُ ... ولكن إلى كلّ الكمائل مدّهُ

عزيزُ اقتدارٍ في السباق إلى العلى ... فما تَرَه طورًا من المجد يَعْدُهُ

محيطٌ بأشتات العلوم جميعها ... ففي أيّ علم شئت يقدح زندهُ

منارُ الهدى السامي على القوم نورهُ ... يَبين به نهجُ الطريق وقصدهُ

مجدّدُ روحٍ صار في وسط نَزْعِه ... وموضِحُ أمرٍ أقلع اليوم رُشدهُ

حكيمٌ فلا تلهيه إلاَّ جواهرٌ ... غدا عبرة فيما سواهنَّ زهدُهُ

إمامُ فنون القول حتَّى كأنَّما ... تعلّمها مذ كان يحويه مَهدهُ

لقد ظلَّ سلطان الكلام بأسره ... فأعلامه الأقلام والكُتب جُندهُ

له قلمٌ يزري بكلّ مهنَّدٍ ... يصول على العادي به فيقدُّهُ

---

(١) ضَهَدَه: ظلَمَهُ وقَهَرهُ وجارَ عليه.

لـه في رهـان المكـرمـات مـآثـرٌ ... كَبَتْ دونها قُبُّ السباق وجُرْدُهُ

تـردَّى بأثـواب المحـامـد كـلّهـا ... وفـوِّفَ من كـلّ المحاسـن بُـردهُ

سما من صفات العلم والحلم حظّه ... وعمّ الورى في الطَول والقول رِفْدُه

فمن يـده غيـث النـوال وبحـرهُ ... ومن فمـه عذب المقـال وشَهـدهُ

إلى كـلّ مـا يُسنـى الثنـاءَ صَبـاؤُهُ ... وعن كلّ ما يوءذي الكرامة صَدّهُ

أيا من ورودي في البيان مَعينـه ... فأصبحتُ في مدحي له أستمِدّهُ

تُباهي البرايـا مصر أنك نجلهـا ... ويفخـر هذا العصـر أنك فـردهُ

لديك رقيق الشعر يحلو نشيدهُ ... وفيك دقيق الفكر يَحسن نَشْـدهُ

وَيفْنَى مِداد المرءِ فيك لدى الثنـا ... وإن يكـن البحـر المحيـط يَمُـدّهُ

ومثلك من تُبدي المواسمُ فضله ... وفيهـا مع العليـا يُجـدَّد عهـدهُ

فهنَّأَك الأضحى ولا زال عائدًا ... عليك سعيدًا دائمًا لك شُكـدهُ[1]

عليك من المولى يصبّ سلامـه ... وفي قلبـك الوقّـاد يَنـزل بَـردهُ

---

(١) الشُّكد: الجزاء والعطاء.

وقال يهنئ صاحب السعادة هولو باشا العابد برءاسة نجله أحمد بك على دائرة استئناف الجنحة في الأستانة

متى أنت يا عهد السلامة عائدُ ... فقد ملني والسقم آسٍ وعائدُ

وأضنكني[1] جسمٌ مدى الدهر واجدٌ ... عياءً وقلبٌ لي على الدهر واجد[2]

سئمت الليالي أنها ليس تنثني ... تُناصِب أحوالي وإنّيَ ذائدُ

كأنَّ العوادي صائدٌ وهو صائب ... سهامًا وأمالي لديه الطرائدُ

تُواثِب طورًا مهجتي وهي حيّةٌ ... وتنكُب جسمي تارةً وهو بائدُ

لعمرك كم من ليلة قد قضيتها ... كراسِف قَيدٍ ساورته[3] الأساودُ[4]

فوادي[5] حرّانٌ وليلي ساهرٌ ... وفكري حيران وطرفيَ ساهدُ

وفي خاطري من وحشة وكآبة ... نوازعُ ما في النفس معهنَّ راكدُ

وفي القلب ويح القلب أشياءُ جمّةٌ ... تلين إذا ما صادَمتها الجلامدُ

ولكنَّ لي عزمًا إذا ما دفعتهُ ... تيقَّنت أنَّ الدهر بالناس مائدُ

أَصول به صَول الكَميّ وإنَّها ... لتستدُّ من دون السيوف السواعدُ

إذا بتُّ في الأيّام أُعمِل عَضبَه ... تساقَطِ الأصداءُ أين الشدائدُ

كذلك شاني في الثبات وإنَّني ... لتخطر في الآفاق منّي القصائدُ

رواسخ أطراف البيوت وإنَّها ... لكالظبيات[6] الباديات شواردُ

---

(١) الضّنك: الضِّيق والشدّة.

(٢) الوَجْد: الشوق.

(٣) ساوَرته: واثبته.

(٤) الأساود: حيّاتٌ خبيثة.

(٥) فوادي: فؤادي.

(٦) الظبيات: الغزلان، ويريد الإشارة إلى انتشار قصائده وشوارده في الآفاق.

تَحَرَّيْنَ أوصاف المآثر دَيْدَنًا[1] وهُنَّ لأقمار العلآءِ رواصدُ
وأشرق بالنادي عليهنَّ سيِّدٌ مبارك ما تحت اللّثامَين عابدُ
وزير تباهى القول في وصف كُنهه وتاهت بنظمٍ في عُلاه الفرائدُ
تَثنَّى القوافي في فسيح ثنائه كما تتهادى باللآلى الولائدُ
له شيمٌ غرٌّ صِباحٌ وأنعمٌ رِباحٌ بجِيْد الدهر منها قلائدُ
تحلّى بأنواع الكمال فلم يكن ليلقى به غير المحامدِ ناقدُ
فأفعاله للمَحمدات مصائدٌ وأخلاقه للمكرمات معاهدُ
هو العابد الشهم الذي في وجوده على كرم الدهر المعاتب شاهدُ
من السادة الغرّ الذين لمجدهم غدت فوق أطباق النجوم مصاعدُ
هُمامٌ أبو الأهوال تعنو لبطشه نِزالاً ليوث الغاب وهي حوارد[2]
صَوءُولٌ وأقران الحتوف نواكصٌ عن الكرّ والصرعى ثنًا ومواحِدُ
يحنّ إلى الهيجا له نَصلٌ باترٍ على صفحتَيه للمنايا مواردُ
لنعم الخطاب السيف في حدّه الشفا وما دونه إلاَّ أثيمٌ وجاحدُ
سمير العلى لم يقَ في الأرض معرجٌ لعلياءَ إلاَّ أنتَ راقٍ وشائدُ
عفافٌ وإقدامٌ وحزمٌ ونائلٌ إلاَّ في سبيل الله أنتَ المجاهدُ
لك الحمد موصولٌ وأحمدُ في الورى أخو خُلقٍ تُشتَقّ منه المحامدُ
فتًى عطَّر الأرجا ثناهُ وأوشكت تحدّث عنه في الكمال الجوامدُ
لقد ملأَ الأقطارَ عدلاً فلا يرى بها حاكم عن منهج العدل حائدُ
نفى النوم عن عينيه بثُّ عدالة يعودُ بها جفن الملا وهو راقدُ
إذا نال في دار الخلافة منصبًا تساوى الأداني بالهنا والأباعدُ

---

(١) الدَّيْدَن: العادة، أو النهج والطريق.

(٢) الليوث الحوارد: الغواضب (الغاضبة).

لتهنأُ به الدنيا ويجذَلُ[1] زماننا ... ويرضَ على الأيّام من هو حاقدُ

وتُحرز به أقصى الأماني محاكمٌ ... لها علمهُ في مسلك الرشد قائدُ

فلا زال في أيّامه العدل ناشرًا ... لأعلامه والحقّ في الخلق سائدُ

ولا برحت آراؤُهُ في سَدادها ... بهنَّ لرايات النجاح معاقدُ

تزيد مع الأيّام علياوءُه وقد ... كفاه من العلياءِ أنك والدُ

يُهنيك يا فخر الموالي ارتقاوءُه ... مناصب تَعيَى دونهنَّ الأماجدُ

إليك عروسًا بالحياءِ خضيبةً ... لبابك تسعى وهي عنّيَ رائدُ

رجوتُ وفاءً بالثنا غير عالم ... بأن ذاك عنّي ما تُنَاط الفراقدُ

فبتُّ لعمري مثل مَن مدَّ كفّهُ ... لكي يلمس الجوزا[2] بها وهو قاعدُ

ولو أنني أدّيت معشار واجب ... لعادت ليَ الأفلاكُ وهي حواسدُ

قهرتَ معاني الشعر فهي قواصرٌ ... لديكَ ولكن في سواكَ زوائدُ

تمتّعَت الدنيا بكونك بالمنى ... وتمّت مع الدنيا لو أنك خالدُ

---

(١) الجذل: الفرح.

(٢) الجوزا: الجوزاء؛ ما لا مجاز بعده من الفلك.

وله تهنئة لحضرة الشيخ محمّد عبده
بزفافه الميمون وهي بنت ساعتها

ماذا يحاول مثلي في قوافيه ... وإن تكن جُمِعت كلّ القوى فيهِ
مِن مدحِ مَن حين لاحت لي مكانته ... من العلى لم أُصوّب رأْيَ مُدْحيهِ[1]
تعنو المعاني لديه وهي صاغرةٌ ... كأَنَّها في البرايا من جواريهِ
تاتي سواه فتسمو فوق هامهم ... وتنتحيه فلا ترقى مواطيهِ
ربُّ المقام الذي باتت تحف بهِ ... غُرُّ الفضائل تُعليه وتغليهِ
قد حازه والليالي من موانعه ... من دونه والعوادي من عواديهِ
بفكرةٍ ما انتضى في الخطب صارمها ... إلاَّ تمكّن قطعًا من هواديهِ
أذلَّ كلّ جِماحٍ للزمان بها ... ولا حسامٌ ولا رمحٌ يُروّيهِ
وإنَّما الفكر إذ صحّت مبادئُهُ ... عن الجيوش غدا والله يُغْنيهِ
فهو الذي كلُّ رأْيٍ منه مُنبلجٌ ... في الروع عن كلّ فجرٍ في حواشيهِ
من يكشف الأمر خافيه كظاهره ... ويبلغ القصد قاصيه كدانيهِ
ما إن جلا علمه في مطلبٍ لَبِكٍ ... إلاَّ وأسفر صبحًا عن دياجيهِ
مجدّدٌ روح هذا الدين منعشها ... من بعد ما بلغت منه تراقيهِ
من منه دهرك ماضيه وحاليه ... مُقلَّدٌ جِيْدُه بالفخر حاليهِ
آلى على نفسه ألاَّ يفارقها ... إلاَّ على مبداءٍ للدين يُحييهِ

---

(١) دحى (الشيء): بَسَطَه.

فسل نجوم العلى عن شأو همته ... والشرق والغرب فاسأل عن مساعيهِ

لا أختشي أن أقل من ذا يُساجِله ... من ذا يساوره من ذا يساويهِ

إذ ينتضي قلمًا كالعضب يظهره ... على حسامٍ صقيل الحدّ ماضيهِ

أو إن يقل كَلِمًا تغدو وقائلها ... ذا البحر يزري وذي تزري لآليهِ

فليس تتلو الورى من قوله غُررًا ... إلاَّ ونادوا جميعًا جلَّ باريهِ

نالت فوادِيَ رغباهُ فوائدُه ... وبلَّغتنيَ آمالي أماليهِ

يا ليت مقدرتي في وصف حكمته ... كانت تعادل بين الناس حبّيهِ

فكنت أشعر أهل الأرض قاطبةً ... إذ بتّ أهيَمهم من فطرتي فيهِ

لكنني دون ذا مع ذاك معتمدٌ ... على مقالة أنَّ الفعل أنويهِ

إنّي امرؤٌ لم تكن تُحصى مطامعه ... ولم يَخَلْ في الورى شيئًا ليكفيهِ

حتَّى راه فأمست دون مبلغه ... من كلّ مأثرةٍ صَرْعى أمانيهِ

وهو الذي لم يزل في الناس يعرفني ... أعدّ لَثْم يديه غاية التيهِ

وإنَّهُ والذي سوَّى محمَّد من ... لم أرضَ عن ناظري حتَّى أرانيهِ[1]

ومن يشابه مولانا بحكمته ... فلست آنفُ أني من مواليهِ

فهو الهُمام الذي فخر القلوب به ... إذا ابتدا اللبُّ يروي عن معانيهِ

المسترقُ قلوبَ الخلق منطِقه ... إذا أفاض فلا حرٌّ بواديهِ

وقد غدا طالب التأهيل عن رَشَدٍ ... وشيمة الحرّ تأبى غير أهليهِ

آتاه ربّي من النعمى موفّرها ... إذ يمنح الفضلَ ربّي مستحقّيهِ

أراه انجال إنجابٍ وأسعدَه ... بخفض عيشٍ رفيع الشان ساميهِ

---

(١) أرانيه: أراني إيّاه.

ومدَّ في عمره ذخرًا لمِلّته بالذود عن حَرَم الإسلام يقضيهِ
فهو الذي في الورى غُرَّان أنعُمِه قد أنطقتني ارتجالاً في تهانيهِ

تاريخ

بارك الله لمولانا زفا فًا قرينًا للرِّفا والولدِ
جئتُ فيه اليوم أرّخ قائلاً حلّت الشمس ببرج الأسدِ

١٣٠٤

وله رثاءٌ لحرم حضرة صاحب الدولة
واصا باشا متصرّف لبنان الأفخم

أتنكر نبذَ النُّصْح فيما تحاوله ... بعذلٍ وباكي العين جارت عواذلُهْ

وتحجو انصباب الدمع ويحك منكرًا ... إذا دَبَّجت خُضرَ الروابي هواطلُهْ

فأرودْ[1] فأقصِرْ عَمْرُكَ الله واتَّئِد ... فأنأى من العنقاءِ ما أنت آملُهْ

تحاول تجفيفًا لدمعي كعامدٍ ... لتجفيف بحرٍ مِحْور الأرض ساحلُهْ

وإطفاءَ نارٍ بالحشى مثل من أتى ... لظى سَقَرٍ[2] يطفي الصّلا وهو آكلُهْ

أيا لائمي في الحزن كِلْنيَ للأسى ... شجيًا فقد طابت لديَّ مناهلُهْ

ولا تتعبْن أو تعتبْن حيث لم أَصِخْ[3] ... فهيهات إصغائي لما أنت قائلُهْ

عذلت بما قد ظِلْتَ تجهل همّه ... ألا فاعذُلنّي بالذي أنت عاقِلُهْ

ولو كنت تدري ما الرزيئة لم تَلُم ... ولكنَّما يستصغرُ الأمرَ جاهلُهْ

مُصابٌ بدت للموت فيه شدائدٌ ... بما لم تكن تدريه يومًا غوائلُهْ

به ذهب اليوم الردى كلَّ مذهبٍ ... كأنَّ الردى لم يدرِ ما هو فاعلُهْ

أزال بأفق المجد شمسَ فضيلةٍ ... تَميد بها من ذا الزمان جلائلُهْ

عقيلة صَونٍ قد أصيب بها العلى ... على مثلها مات العلا وعقائلُهْ

تعطّل خَسْفًا جِيْدُ ذا الدهر بعدما ... تحلّى بها دهرًا من الدهر عاطِلُهْ

مضت فمضى منها إلى الله مُمتَعًا ... بنَعماه شخصٌ لا تُعَدّ كمائلُهْ

---

(١) أروَدَ في السَّير: تمهّل، ومنها فعل الأمر أرْوِدْ.

(٢) سَقَر: جَهَنّم.

(٣) أصاخ له: استمع وأنصت لصوتٍ.

فقامت لها في كلّ حيّ نوادبٌ ... لحسن ثناءٍ يُفْعِم البرّ نائلُهْ

إلاَّ أنَّ لبنان الأغرّ تخضّبت ... رُباه دمًا ممَّا بكَته قبائلُهْ

تمثّلُ دكّ الطُور في صعقاته ... دمادِمه ممَّا تميد معاقلُهْ

أمصْرَعها يوم الثُّلثا وقد سرى ... بها نَعشُها كالفُلْكَ والدمع حاملُهْ

تُصعِّد فيه الناس كلّ شرارةٍ ... بما فيه قد ساوت ضُحاه أصائلُهْ

فيا قبرها في الحازميّة فوقَهُ ... غطاءٌ من العفو المُهيمن سادِلُهْ

سقتك شآبيب الرضى كُلّ غُدوةٍ ... وظلَّ الحيا يَنهُّل فوقك وابلُهْ

أراحلةً من عالم الموت للبقا ... ويا حبَّذا من ذلك الحيّ راحلُهْ

لك الله بالصبر الذي قد قضيته ... بداءٍ مدى السبع السنين يناضلُهْ

تخذت الليالي النابغية مَألفًا ... فما شأْن طرفٍ حالك الليل كاحِلُهْ

وتصبر حتَّى أصبح الداءُ عندها ... أواخره قد سُوّيت وأوائلُهْ

فَوَيْح الردى كيف انبرى لاختطافها ... ولم تُدْمَ مُذ مُدّت يداه أناملُهْ

تخرَّمها لا يرهب البأْس من حمى ... وزيرٍ وَفَت أسيافه وعواملُهْ

فلم يتهيّب للوزير بسالةً ... تسامت ولم تُغْن الوزير مناصلُهْ

أقام السرايا فوق لبنان تنجلي ... فأين السرايا للحِمام تُنازلُهْ

أصيب لعمر الله ليس تفيده ... فتيلاً على درءِ المصاب حجافلُهْ

ولا غَرْوَ فيه من مصابٍ مُعظَّمٍ ... فما واثبَ الضِّرغام إلاَّ مماثلُهْ

وإنَّ الذي جلَّ الزمان بفضله ... لأحرى بأن هانت عليه نوازلُهْ

لقد جلَّ أن يخشى من الدهر بأْسه ... بل الدهر يخشاه فليس يعادلُهْ

وزيرٌ إذا قلّ الثناءُ فإنَّما ... فضائله موفورةٌ وفواضلُهْ

وإن عاذ فيه المستجير فإنَّما ... شمائله بالالتفات شواملُهْ

هنيئًا للبنان به أنَّ ذكرهُ ... يضوع بأذكى ما تضوع خمائلُهْ

تولاّه واصا حيث واصى[1] أياديا ... تُواصي[2] الثنا طول المدى وتواصلُهْ

فديناك طُرًّا لا تطع باعث الأسى ... فإنَّك لا يعنيك في الخَطْب هائلُهْ

وإنَّ الذي قد صلّتته يد القضا ... حسامٌ غدت أمرَ الإله حمائلُهْ

فهل في قضاءِ الله تُنجيك حيلةٌ ... إذا نُصِبت للاقتناص حبائلُهْ

وهل كلّ شأْن مُبتغيه وسائله ... يصحّ به فيما يروم وسائلُهْ

فجدَّلت ذا العدوان بالسيف عُنوةً ... ولكنَّ هذا الموت ليس يشاكلُهْ

فعَطِّف على المكروه نفسًا فإنَّه ... قضآءٌ عميمٌ مقصداتٍ مقاتلُهْ

فمثلك لا يعنو لأثقال نكبةٍ ... على أنَّ حزم الراي إذ ذاك كاهلُهْ

ومثلك في لبنان همّته انتضَت ... فوائق ما كانت تُرَجَّى أواهلُهْ

نشرتَ لواءَ العدل فوق هضابه ... خَفوقًا بألاءٍ غدت لا تُزايلُهْ

فدمت عليه واليًا تُسعِد الورى ... كما دُمتَ جُودًا فيه يَخضرُّ قاحِلُهْ

---

(١) واصى: واصَلَ.

(٢) تُواصي: تُوصي به.

وله تهنئة لدولته بزفافه السعيد

أَدِرْ لنا راحَ تذكار الحمى أدِرِ ... وصف لنا اليوم مجلى سَفحه النَّضِرِ

وارمقْ سناوته وانظُر سماوته ... ترى دراريَّها تَزدان بالضررِ

ترى قِباب السنا في الأفق صاعدةً ... على أساطين نورٍ ناثر الأُكَرِ

أنعم بها ليلةً لبنانُ تاه بها ... وبات يرفل في ثوبٍ من الحِبرِ[1]

جاد الزمان لأهليه بطلعتها ... من بعدِ ضنٍّ بها في سالف العُصُرِ

كأنَّما كان منذ البدءِ حاملها ... حتَّى تَمخّضها ذا اليوم عن كِبَرِ

قد أرَّخت عهدها فيها المسرَّةُ مذ ... تقوَّضت بهناها دولة الكَدَرِ

يزين قبّتها نورٌ وساحتها ... نَورٌ فتُزْهِر بين الزُّهْر[2] والزَّهَرِ

حتَّى كأنَّ ضياها امتدّ متَّصلاً ... بيومها وكأنَّ الأرض لم تَدرِ

مشاهدٌ كملت أنوار زينتها ... ما بين منتظمٍ منها ومُنتثِرِ

يكاد لبنان أن يهتزّ من طربٍ ... وأن يميس بما يحويه من مَدَرِ

عمَّت بذي البهجة العليا مسرّتهُ ... جميع أهليه من بادٍ ومحتضرِ

تأرَّجت من ثنا المولى الوزير لنا ... أرجاؤه بأريجٍ ضائعٍ عَطِرِ

هو الوزير الذي ما شئت من وزرٍ ... منه على دهرنا أُلفيت من وَزَرِ

أقسمت ما دام منه الخير منصرفًا ... إلى العباد فما زِند الزمان وَري

كنَّا نحاذر دهرًا قبل همَّتهِ ... فالآن نحنُ وما نبقى على حذرِ

يرتدّ عن مجده الوضّاح منكسرًا ... طرفٌ عن الشمس أضحى غير مُنكسرِ

---

(١) الحِبر: الوشي (للثوب) خاصّةً.

(٢) الزُّهر (بضمّ الزاي): النجوم.

بدرٌ ينيرُ على الأقطار قاطبةً ... بحرٌ سِواه جميع الناس كالغُدُرِ

مهذَّبٌ تبخع[1] الجُلَّى لحكمته ... يرى ويمضي مضاءَ الصارم الذكر[2]

مُوءَيّدٌ سُنّة العدل التي شرفت ... ورافعٌ راية الإرشاد في البشرِ

طافت بكَعبته الآمال واعتمَرت ... وليس إلاَّ البَنان الرَّطْب من حَجرِ

إلى مكارمه الآنامُ واردةٌ ... تَتْرَى ولكنَّه وِرْدٌ بلا صَدرِ

باتت تُحدّث عن معن[3] سماحته ... وعدل أحكامه الغرَّاء عن عُمَر[4]

أبدى فأيَّد أيدي المكرمات بنا ... جُودًا كما كفَّ كفَّ الرُزْءِ والغيرِ

أين الرزيئة تجتاحُ العباد فقد ... رمى بها بين سَمْع الأرض والبصرِ

له بكلّ مكان كلُّ مأثرةٍ ... غرَّاءَ معلومة الأحجال والغُرَرِ

إذا أفاض على العافي[5] مواهبه ... أزرَى بغيثٍ من الوطفاءِ[6] مُنهمرِ

وإن سطا بطعانٍ ملَّ من يدهِ ... قرى الوشيج وغَرب الصَيلم البَترِ[7]

يا من لتأييد علياه وسُلطته ... تدعو الرعيّة في الأصال والبُكُرِ

بك انقضت غصّة الأيام وانكشفت ... صُروفها بالزمان الأخضر النَّضِرِ

لك الأيادي على لبنان تُرسلها ... سُحُبًا على رائحٍ فيه ومُبتكرِ

لكم رَأَبْتَ له صَدْعًا وكم شَعث ... لَممت فيه وكم قوَّمت من صَعَرِ

سقيته الغيث من رغدٍ ومن دعةٍ ... كذاكَ يُسقَى جديب الأرض بالمطرِ

فعاد بعدَ ذويٍّ عَيشه نَضِرًا ... وشبَّ بعد وضوح الشَّيب في الشَعَرِ

---

(١) بَخَعَ له: أقرَّ.

(٢) الصّارم الذّكر: السَّيف.

(٣) معن: هو معن بن زائدة، المشهور بالحلم والسماحة.

(٤) عمر: هو عمر بن الخطّاب (رضي الله عنه) المعروف بالعدل.

(٥) العافي: كلّ طالب فضل أو رِزْق.

(٦) سحابة وطفاء: مسترخية لكثرة مائها.

(٧) غَربُ الصيلم البَترِ: حدّ السيف القاطع (البتّار).

ما إن ترى ماس بين الناس غصنُ هَنا ... إلاَّ ولبنان أمسى خير مُهْتَصِرِ

ما لي أُعدّد ما واصيت من نعمٍ ... على حِماكَ وما شيّدتَ مِن أثَرِ

فمثل فضلك بحرًا ليس يحصره ... لسانُ مِثليَ في ذا العَيّ والحَصَر[1]

فاهنأْ بسعدِ هداءٍ لا تزال به ... مقارنَ العزّ والنُّعمى مدى العُمرِ

تزهو لنا اليوم في تاريخه جُمَلٌ ... فقلّ تجلّى قِرانُ الشمس والقمرِ

١٨٨٥

(١) العَيّ والحَصَر: آفة النطق، وهي خلاف الطلاقة والفصاحة.

وقال يمدح صاحب السعادة الأمير السيّد محمّد باشا الحسنيّ الجزائري كبير أنجال المغفور له الأمير عبد القادر

أتقصد بالمدح الأمير محمَّدا ... وما من نجوم الأفق شعرٌ فتنشُدا

وتبغيه وصفًا بالذي هو دونه ... لعمري لقد أدناك قصدٌ وأبعدا

أَلا إنه لم يُحرز الوصف قدرهُ ... ولا بلغت منه القصائد مقصدا

ولو كان ميسورًا عليك مديحه ... لحدَّثت نفسي أن أمدَّ له يدا

هو البدرُ إلاَّ أنه ليس يختفي ... هو البحر إلاَّ أنه ليس مُزبدا

هو الليث إلاَّ أنه ليس يعتدي ... هو السيف إلاَّ أنه ليس مُغمَدا

يضيءُ على الأكوان نور كماله ... وتُتّخَذُ الشعرى[1] لعلياه مَرصدا

ولكن يغوص الناس في لُجّ جوده ... فيُهدى له دُرُّ الثناءِ مُنضَّدا

ويحمل في الهيجا فإن صال صولةً ... تساقطت الأبطال مثنىً وموحدا

ويُنضي إلى أقصى المطالب نفسه ... وننظرُ سيف الله فيه مجرَّدا

تطاول حتَّى ليس مرقىً لهمَّةٍ ... وبرَّز حتَّى ليس قُدّامه مدى

تجمع فيه الجدّ والفهم في العلى ... فأصبح ذا أسمى وذلك أسعدا

وما زالَ حتَّى غادر الضدَّ بطشُه ... صريعًا وخلَّى جفنَه المجدُ أرمدا

أجلُّ بني الأيَّام قدرًا ورِفعةً ... وأطيب أجدادًا وأكرم محتدا[2]

لئن بلغ الناس السيادة فجأةً ... فذا كابرًا عن كابرٍ صارَ سيِّدا

عن المصطفى[3] بعد الخليل وهكذا ... إلى آدمٍ لم ينمه غير أمجدا

---

(١) الشّعرى: كوكبٌ نيّر.

(٢) المحتِد: الأصل والطبع.

(٣) المصطفى: من أسماء الرسول (ص).

كفى بابْن عبد القادر الشهم فرحةً ... لكلّ امرءٍ صلّى وصام ووحّدا

أبوه الذي قد كان في الغرب قائمًا ... بتأْييد دين الله في حَومة الرَدى

لذاكَ ابن محيي الدين قد كان في الورى ... حسام إلهٍ لا حسامًا مهنّدا

فأصبح للإسلام غوثًا وموئلاً ... عزيزًا وللإيمان رُكنًا مُشَيَّدا

أقرَّ عيون المومنين بباسه ... وغادر جفن الكاشحين مُسَهَّدا

وما زال حتَّى آثرَ الله رفعهُ ... وبوَّأَهُ من ساحة القُدس مقعدا

فإن يمضِ عنَّا فالأمير محمَّدٌ ... يعيد علاءَ البيت مجدًا كما بدا

هُمامٌ إذا ما بات يجري لغايةٍ ... تلقّته أطواد[1] الأمانيِّ سُجَّدا

أغرٌّ يحل الصدر من كلّ منتدًى ... وليس يضاهي صدره رحبُ مُنتدى

فيا بْنَ أمير الشرق والغرب لا تزل ... لآثاره في العالَمِين مُجدّدا

إذا فقدَ الخَلقُ المكارمَ والعُلى ... رأَوك بها من بَدءِ عمرك معهدا

سأُهديكَ مع ضعفي إليك قلائدي ... ليتهمَ شعري في ثَناك ويُنجدا[2]

ولا غَرْوَ عندي أن أرقّ لسيِّدٍ ... تحرَّر مَن في وُدّه قد تَقيَّدا

تمتَّع بأنواع السعادة دائمًا ... وعِش يا هُمامًا ما أردت مُخَلَّدا

رعاك الذي أبدا محمَّد في الورى ... وعلَّم عبد القادر الطَّعن في العِدى

---

(١) الأطواد: الجبال.

(٢) تَهَمَ وأنْجَدَ: مِن (تهامة) و(نَجْد)، وهما موضعان في جزيرة العرب، وكلّ ما ارتفع عن (تَهامة) فهو (نجد). ويضرب العرب فيهما مثلاً، كأن تقول: شَرَّقَ فلانٌ وغَرَّب، من (شَرق) و(غرب).

وقال يهنّي سعادة الشهم أحمد بك العابد برئاسة دائرة الاستئناف في دار السعادة باقتراح أحد الذوات

فليهنأْ مقام عزَّة أحمدْ ... عابد الحقّ بالذي قد تقلَّدْ

ولتهنَّأْ به العدالة والأحكا ... م والناس والزمان وتسعدْ

سيف عدلٍ في قبضة الدولة الغرَّ ... اء لا زال في الأنام مُجرَّدْ

قد أقامته في المناصب للحـ ... ـق إمامًا فليس عنهنَّ يُغمدْ

كلَّما نال منصبًا ساميًا منـ ... ـهنَّ خرَّت لهُ الكواكب سُجَّدْ

ولعمري ما نال حقًّا ولو نا ... لَ علاءً فوق السِماكَين مَقعدْ

سيِّدٌ ترفلُ المحاكم من نسـ ... ـج يديهِ في ثوب فخر وسُؤْددْ

أيِّدٌ أوسع القوانين تقويـ ... ـمًا وقوَّى الحقَّ المُبينَ وأيَّدْ

حرس العدل في العباد وأعلى ... عَلَمَ الحقّ والمنار وشيَّدْ

عابدٌ عادلٌ ولَلْعَدلُ ما بين الـ ... ـورى خير ما به الله يُعبدْ

هو نجل الأماجد السادة الـ ... ـقادة من كلّ باهر العزّ أصيدْ

حسبٌ تخدم الثريَّا علاه ... وسناءٌ غدا من الشمس يُحسدْ

طاهر الأصل مذ حوى مثله الدهر سما بالذي حوى وتمجَّدْ

قد تسامى إلى العلى وهو طفلٌ ... وتولَّى غاياتها وهو أمرَد[1]

بمضاءٍ كالسيف إذ يتبدَّى ... وذكاءٍ كالنار إذ تتوقَّدْ

وجداءٍ على البرايا عميم ... عنده جود كلّ بحر مصرَّدْ[2]

---

(١) الأمرَد: الشاب طَرَّ شاربه (ظهر أوّل ظهوره).

(٢) ماءٌ مُصَرَّد: قليل، يريد؛ أنَّ جُوْد البحر قليل أمام جُودِه.

ومعـالٍ ترفَّعـت عن سـواه ومعانٍ في الفضل يخطئُها العَدْ

عشـق الحمـدَ أحمـدُ الاَسـم والأفعـال والمـرءُ رهـنُ مـا قـد تعـوَّدْ

أيُّها العابد المفضل في الحمد الـ ـذي ظلَّ في النزاهـة أوحـدْ

من بأحكـامـه ونـورٍ محيًّا هُ دجى الظلم والظلام تبدَّدْ

وبـدت زهـرةُ العدالـة تنمـو وغدت شوكة المظالم تُخضَدْ[1]

لا تزال ترتقي المناصب ذا جـ ـدٍّ سعيدٍ علا وسَعدٍ مُجـدَّدْ

أصبح الشكر عن علائك فرضًا لازمًا عُنقَ كلّ مَن قد تَشَهَّـدْ

فلكم نعمـةٍ أفضت علينـا وعطاء أسديت فينا وكم يـدْ

ليس ننسى أثارَ عدلكَ فينـا فلها في القلوب ذكرٌ مُخلَّدْ

وبهـا وجـه ذا الزمـان تجلَّـى وتحلَّى جِيْدُ المعالي الأغيَـدْ

أنت أعلى من كلِّ مدحٍ وإن با تت به الدرُّ والدراري تُنضدْ

فهنيـئًا بـذي الرئـاسـة إنَّـا لك نستأنف المديح ليُنْشَـدْ

ونفـي واجبًـا لديـك وإلاَّ فجنـاح أعـذاره لا تمهَّـدْ

عـمَّ كـلَّ البريّة البِشْـرُ لمَّا طائرُ اليُمْـن بالبشارة غـرَّدْ

لا تزل صاعد السعود ولا تبـ ـرح أبا الحمد في ارتقاءٍ مُوعبَّدْ

مـا تلافـى ثنـاك أرِّخ رقيـقٌ فليُهنّأْ مقـامُ عـزّة أخـمـدْ

---

(١) خَضَدَ الشَّوك: خَرَطَهُ (قَطَعَهُ).

وله ثناء على حضرة السري الأنجب

عزّتلو عبد العزيز أفندي السلطاني

عمرك الله يا عذولي أقِلاَّ ... ليس حبّي الظباءَ إلاَّ الأقلاَّ

أنا مالي والهِيْفُ تشرعُ سُمُرًا ... ما تثنَّت والعِيْنُ ترشق نبلا[1]

وسيوف الحواجب الزجّ تُنضَى ... لتذيب المُحِبّ بالسَلّ سِلاَّ

وثنايا الثغور ما لاح منها الـ ... ـبرق إلاَّ والدمع منه استهلاَّ

كلَّما ازدادت الحبيبة دلاَّ ... زاد هذا العميد[2] في الحبّ ذلاَّ

حالة كلّها هوًى وهو أنَّ ... دونها مَورد المنيّة أحلى

لست أستعذب العذاب لديها ... أنا عنها أغنى وأغلى وأعلى

لا تراني فيها أُطأطئ رأسي ... إن تَجُدْ بالوصال دعدٌ وإلاَّ

ليت شعري ماذا ترى في هواهم ... للواتي وُصِفْن جُبنًا وبُخلا

إنَّ هذا الفؤاد أشرف من أن ... يسأَلوه بهذه الحال شغلا

فتعشَّق يا صاح بِكْر المعاني ... وهنا فاهْلَكَن إذا شئت قتلا

وقدودًا بين المساعي تَثَنَّى ... وعيونًا بأثْمِد[3] الليل كحلا

واصرف الحبّ في وجوه المعالي ... واَعْلُ رَحْلاً بقصدِها واَحْدُ إبْلا

وإذا ما طلبت منها اللقا طُرًّا ... فيمّم سلطانها المستقلاَّ

هو عبد العزيز ذو العزَّة القَع ... سا الذي قد زكا جنانًا وأصلا

---

(١) يريد الضامرات من النساء كأنّ قُدودَهُنَّ (أجسادهنَّ) الرِماح (رشاقةً)؛ والعِيْن؛ مفردها عَيناء: الواسعة العين.

(٢) عَمَدَه المرض: قَدَحَه واشتدّ عليه، ومنها اشتُقّ القلب العميد.

(٣) الإثمِد: حجرٌ يُتّخذ منه الكحْل، وقيل هو الكحْل.

المعـيُّ قد نـال وهو ولـيدٌ ... ما ينال المشهور بالعقل كهلا
بذكـاءٍ كـأَنَّ في الذهـن نـارًا ... ومضـاءٍ كأَنَّ في العـزم نَصلا
ويراعٍ يجري على الطرس تبرًا ... وخطابٍ يؤْتي لدى الخَطْبِ فَصْلا
هكذا فلتكن بنو الشرف الوضّـ ... ـاح إذ يبتغـون للأَوج وصـلا
همَّـة تطلب النجـوم ورأْيٌ ... بسنـاه يجلو دُجى كلّ جُلَّى
خُلقٌ كالرياض طيبًا ولطـفٌ ... بات من طَلِّها[1] أطلَّ[2] وأطلى[3]
فاعل في الأرواح ما تفعل الرا ... ح إذا ما أساغها الشَرْب عَـلاَّ
إنَّ هذا الخلاق من ذلك اللط ... ـف لقد جلَّ أن يصادف مِثلا
جـلَّ يـا سـاميَ المعـاني إلـهٌ ... جامعٌ فيك للمحاسن شَمـلاَ
لا نرى فيك ذي النباهة بدعـا ... إنَّمـا أنـت فَرعُ مَن فـاق نبـلا
فرعُ مجدٍ أضحى له الأفق أرضًا ... وسنـاءٍ أمسـى لـه البـدر ظِـلاَّ
يا لبيبًا قد ذكَّرتنا معانيه سميّـ ... ـًا قـدمًـا بِحِـلَّـةَ حَـلاَّ
غصبَ الحمدَ بالفضائل حتَّى ... لم يغادر عليه للمدح فضـلا
هاك عبد العزيز مدحة صدقٍ ... نطقت في سلطانها اليوم عدلا
لك مني شهادة الفضل عفـوًا ... لا لأَنّـي أعـدُّ نـفـسـيَ خـلاَّ
أنـت لا شـكَّ للمدائـح أهـلٌ ... حيث أبدعتَ للمحامد أهـلا
فهي تنحو حماك في كلّ معنىً ... بات بكرًا فقارَنَ اللفظُ فحْـلا
سبق الشعر حسن فعلك حتَّى ... لا تجـارىَ فقلـت بالله مهـلا
دُمت يا باهر النباهة محفوفـ ... ـًا بعـيـن الإلـه عـزَّ وجـلَّ

---

(١) الطلّ: النّدى.

(٢) الأطَلّ: الأكثر حُسنًا.

(٣) الأطلى: الأكثر طلاوةً.

وله تاريخًا لورود أحمد وفيق مقبل نجل ذي السعادة جمال بك ناظر رسومات سورية

الدهر أعتبَ[1] والزمان قد انجلى ... والكَرْب ولّى والعَناءُ قد انجلى

والكون أشرق والسرور قد ازدهى ... والبؤْس أدبرَ والهنا قد أقبلا

بورود نجلٍ مذ أضاءَ هلاله ... أيقنت أنْ سيصير بدرًا أكملا

قمرٌ تولد في سماءِ سعادةٍ ... يُمنًا وفرعٌ جاءَ من دَوحِ العُلا

نجلُ الجمال ومن يكنْ نجلاً لهُ ... فهو الحقيق بأن يكون الأجملا

قد جاءَ سرُّ أبيه فيه ظاهرًا ... وغدا الجمال أبوه فيه ممثَّلا

هذا اَبن من فاق الأماثلَ عفّةً ... واختار محض الاستقامة منهلا

عمَّ السرور جميعنا بوروده ... وغدا الزمان بنوره مُتّهلا

لما بدا أنشدت تاريخًا له ... بالخير جاءَ وفيق أحمد مُقبلا

١٣٠٤

(١) أعتبَ: رَجعَ إلى ما لرضاني عنه.

ولهُ تهنئة لحضرة الوجيه النبيه صاحب العزّة

حسن أفندي بيهم بزفافه الميمون

إليك التهاني تُستَحثُّ وفودُها ... وفيك القوافي تُستمال شرودُها

وتسلكنا فيها معانيك هينةً ... إذا استُصعبت أقبالها ونجودُها

أعنت يراعي للقوافي إشارةً ... بأنَّك مُبْدِ نعمةً ومُعيدُها

مددت بضَبْعَيه[1] إليها فنالها ... ولولاك أمسى الدهر وهو طريدُها

تعاتب عزمي فيك كلّ خليقةٍ ... عليها سرابيل العلى وبُرودُها

كأنّي قرضتُ الشعر قبل زمانه ... ليوجب في يومٍ عليَّ نشيدُها

وكنت إذا ما اعتَمْتُ[2] صَمتي عن الثنا ... أُكلّف نفسي خُطّةً ما تُريدها

فإن كنت للحُسنى عميدًا وصاحبًا ... فإنّي مديحًا صَبّها وعميدُها

وإن صِيغ عقدُ المدح فيك فطالما ... تحلّت بك العلياءُ وازدانَ جِيْدُها

كأنَّك من ماءِ الشهامة مَنهلٌ ... تظلّ العلى حَرَّى إليها كُبودُها

لقد شملت منك الجميع بلطفها ... شمائل يزري بالشَمول[3] وَرودُها

وقد فزت حظًّا بالمُعلَّى من العُلى ... فتقدح نارًا في يديك صُلودُها[4]

حصلت على شُمِّ المعالي فلم يزل ... بأفق العنان البدر وهو حَسودُها

صَبوتَ إليها وهي نحوك قد صَبَتْ ... فلا غرو أن تُفتن بحُسنك غِيدُها

---

(١) الضَّبْع: وسط العَضُد، وقيل الإبط، والضبعين: العَضُدَين (مطلقًا).

(٢) عَتَمَ (عن الأمر): كَفَّ عنه بعد المُضيّ فيه.

(٣) الشَمول: الخمر (لأنها تشمل بريحها الناس)، وقيل هي الباردة.

(٤) الصلود: الزند لا يُوري (لا ينقدح عن نار).

غلبت القوافي كلّها وسبقتها ... وإن يُزْرِ بالدرّ النَّضيد نَضيدُها

بهمّة مقدام العزيمة لا تَرى ... عياءً ولا وقْع الصِّعاب يَؤُودُها

وأخلاق ميمون النقيبة ما يَني ... يَصُوبُ بها غيث الثنا ويَجودُها

فتىً لو أعار الشمس ضوء جبينه ... لَمَا ساغ تحت الدَّجْن[1] يومًا رُبودُها[2]

ولو لابَسَ الظلماءَ نورُ جنانهِ ... لَمَا احتيج من نور الصباح وقودُها

ولو مزج الله الحياة بلطفه ... لَمَا احتملَت سُقم الجسوم جلودُها

هو الحَسَن الوجه الذي بان حُسنه ... لنا بوجوهٍ ليس يُحصى عَديدُها

له من رقيق الطبع هِيفُ خلائقٍ ... تغار غصون البان منها قدودُها

نشا كَلِفًا بالمكرمات فلم تزل ... له نفحات ليس يُجحَد جُودُها

إلى الغاية القصوى منازعُ هَمّهِ ... فأقرب هاتيك المغازي بَعيدُها

تولّيه ذاتُ الأروعية نفسهُ ... على عَقَباتٍ لا يرام كؤُودُها[3]

يُهتِّك أستار المغالق حَزمُه ... لدى معضلات لا ينادي وليدُها

إذا اعترضت دُهمٌ عوابسُ في الورى ... فمنه لهم مَهدِيُّها ورشيدُها

على ملتقى سبل المعاني تخاله ... فمبتدرٌ من كلّ صوبٍ يصيدُها

أمالت له كلَّ القلوب من الورى ... مكارمُ تَثْرى في القلوب قيودُها

لقد ألف الأفضالَ وهو ربيبه ... وهلْ تألف الأغيالَ إلاَّ أسودُها

ولاقت به زُهرَ السعود جدوده ... كما تتلاقى في البروج سعودُها

رعى الله من يرعى المودّة والولا ... ببصرةٍ ما يطّبيها هجودُها

أيا حَسَنًا لم يُبقِ حُسنًا لغيره ... برِفعة شأنٍ لم يزَل يستزيدُها

---

(١) الدجن: ظلّ الغيم القاتم.

(٢) الرُّبدة: لون بين السواد والغبرة. وتربّدت السماء: تَغيّمت.

(٣) العقبة الكؤود: الصعبةُ الاجتياز.

ويا مُخْوِلاً لا تاركًا طارِفَ العُلى ... إذا كـان أولاك الغنـاءَ تليدُهـا

عشقنـا معـانيك الحِسـان وإنَّهـا ... وحقّك عينٌ لا يُطاق صدودُهـا

تُضاحِك ثغر الأُقحوان ثغورها ... وتفضحُ والله الشقيقَ خدودُهـا

قلائـد شعـرٍ لا كِفـاء لحسنهـا ... ينـدُّ لنـا بيـن الفحـول نَديدُهـا

قوافٍ لها فوق القوافي مواقفٌ ... لآلٍ بأجيـاد اللآلـي عقودُهـا

تبـاهت بك الأقـلام أنك ربّهـا ... وأنك مطبـوع المعانـي مجيدُهـا

وأنك فردٌ بالحَصافـة والذكـا ... وكلّ العلى بالحقّ أنت فريدُهـا

ونبّهـتَ منّـي عزمـةً مستنيمـةً ... إلى دعـةٍ قد طـال فيها ركودُهـا

أفي كلّ يومٍ منك روعة ماجـدٍ ... ولوعة وجدٍ لا يُرَجَّى خُمودُهـا

فَخُذها من الشعر العراقيّ غادةً ... تناهت إلى ماء السماء جدودُهـا

على غير عهدٍ بالثناءِ ولم يكن ... حَداهـا إلى ناديك إلاَّ عهودُهـا

وقد أنفَذَتها نحو مدحك همّةٌ ... تجـاذَبهـا إقـدامُهـا وقعـودُهـا

تنازَعَهـا خلق الحيـا ورجاؤُهـا ... بأنك إذ تُتلَـى عليك وَدودُهـا

فـلا خيَّبـت آمـالَهـا منـك رقّةٌ ... تضوع عبيرًا حين يُعْجَمُ عُودُها

فقد محضَتك الواجب الحمدَ والهنا ... خلوصًـا وأنظار الإله شُهودُهـا

أخا الحسن فاهنأْ بالزفاف الذي زها ... ودامت لك الدنيا وأنتَ سعيدُها

ودُمْ بهنـا هذا القِـران مُمتَّعًـا ... قرينُك من هذي الحياة رغيدُها

ولا زلـت إلفًـا للسعـود محبَّبًـا ... تجدُّ إلى مأْتـى علاك جدودُهـا

ودمت حليفًـا للسلامة ظاهـرًا ... على مِحَنِ الدنيا وأنت مُبيدُهـا

بلغت كمالاً ليس في البدر مثله ... وهل كلّ علياك البدورُ تجيدُها

أقـرَّ لـنـا المولـى بمرآك أعيُنًـا ... تَطيب بها ما لا يطيب رُقودُهـا

إليك رنَت من كلّ صوبٍ وإنَّها ... لتَقطر بردًا إذ تراك جَمودُها

فلا برحت منك المعالي على السُّهى ... مقاصير فخرٍ ما تزال تُشِيدُها

ولا برحت منك العوادي مريضةً ... دويٌّ بها استشرىٰ ولا مَن يَعودُها

أخا الحسن فاسلم بهجةً لقلوبنا ... ففيك لنا محبوبها ومفيدُها

بقيت بقاءَ الدهر فخرًا لأهله ... وخُلِّدتَ لو نفسٌ يُرجَّى خلودُها

ولا زالت بدر الشرق ما ذرَّ شارقٌ ... وما طَلعةُ الإصباح لاحَ عمودُها

وله ثناء على حضرة الذكيّ جمال بك نجل حضرة نموذج الكمال والفضل ومعدن النزاهة والعدل صاحب الفضيلة رامز بك نائب بيروت الحاليّ

ليس من يملأُ العيون جمالاً ... غير من يملأُ القلوب كمالا
وأخو العشق ذو الهيام الذي قد ... تَخِذَ الليث في هواه الغزالا
يا جمالاً عشقت منه خصالاً ... لست أرجو لغيرهنَّ وصالا
زادك الله رفعةً ويقيني ... بكمال إذا رأيتَ الهلالا
جُمِعت فيك يا جمالُ معانٍ ... يتمنَّى المديح منها المحالا
أو ما فيك ذلك العزم ما وُجِّـ ... ـه يومًا إلاَّ استخفَّ الجبالا
يسبق القول منك فعلٌ إذا ما ... سبق القولُ في الأنام الفِعالا
يا اَبن من قصَّر الأماثل طُرًّا ... أن يُرونا لذاته أمثالا
نجل قُطب الزمان عدلاً على الإطلاق لم يُبْدِ نِدَّهُ الدهرُ حالا
لستَ أبغي وصفًا لما أنت فيه ... أنا ما أَن أُطيق هذا المجالا
لا ولا شكر ما مَحَضْت من الو ... دّ صديقًا تراه باَسمك آلى
مكرماتٌ ورقَّةٌ وذكاءٌ ... ذي المعالي فليَعْلُوَن مَن تعالى
وزمانٌ يظلُّ ينشدُ عنها ... هكذا هكذا وإلاَّ فلالا

وكتب إلى صفيّه الأديب الأريب أيّوب أفندي عون
مدير مدرسة الكاثوليك في الشهباء*

حتَّامَ تجذبني القدود وأجنَحُ ... ويصدّني عنها الصُّدود وأجمحُ
ويهيّجني شوق الحسان وأدمعي ... أبدًا على سفح المعاهد تُسفحُ
لم يبقَ منّي موضعٌ طيَّ الحشَى ... إلاَّ وزَندُ الحبّ فيه يَقدحُ
كلاَّ ولا في مهجتي من نُطْفةٍ ... إلاَّ بنار الحبّ أضحت تُلفحُ
غاضت دموعي بعد فيض شؤُونها ... وعهدتُ عين الدمع ليست تُنزَحُ
وبقيت فيما بين لذع صبابةٍ ... يكوي وبَرحٍ دائمٍ لا يَبرحُ
أحيي الليالي آملاً أن تنجلي ... صبحًا وليس بأمثلٍ ما تُصبحُ
إن كان يوحشني الظلام لدى النوى ... فالهجر في يومي لِعيني أوضحُ
ولقد أتوق إلى الكَرَى فلربَّما ... طيف الحبيب بزَورةٍ قد يَسمحُ
فلئن يكن ذاك الغزالُ محرِّمًا ... وَصْلي فحسبي في الكَرَى ما يَسنحُ
يا ليلةً بالجزع تجزعني بها ... نوحًا وَرَاقَى[1] الأَيك ممَّا تصدحُ
باتَت تذكرني ليالي بَينها ... كُنَّا وكان المُنحنى والأبطحُ
ما بين هاتيك الظباءِ سوانحًا ... تمشي بحبّات القلوب وتمرحُ
باتت تتيه بها العقول إذا بدَت ... تِيهًا كبانات النَّقا تترنَّحُ
من كلّ ميَّاس أغنَّ إذا انبرى ... فالعقل يُعقل والنواظر تطمحُ
فضح الغزال بجِيْدِهِ عطوًا وقد ... فضَحَ الغزالةَ[2] منه وجهٌ أفضحُ

---

* الشهباء: كنية حلب.

(١) راقى، (مفردها ورقاء): حمامة.

(٢) الغزالة: الشمس.

يلهو ويجرح في النهار وإنَّما ... قد ظلَّ يجرح مُهجتي إذ يَجرحُ

وأُعلِّل النفسَ الشجيّةَ بالدُّجى ... فإذا الدُّجى كالصبح ليس تَفرّحُ

يا من يعذِّبني ويحسب أنَّني ... لعذابه طول الزمان مرشَّحُ

يسطو عليَّ ولا يرقّ فعنده ... قلبٌ ولكن بالحديد مُصفَّحُ

دَلَّهتني في ذا الغرام فها أنا ... قيسٌ ولكن بالفراق مُلوّحُ

فإلى مَ تهجرني وقد كاد الصبا ... يَذوي ورَطب غصونه يَتصوَّحُ

ما كنت أيّوبَ الصَّبور وإن يكن ... بالصبر معنى اسمي بفارسَ يُشرحُ[1]

ذاك السميُّ الباهر الشِّيَم التي ... أخلاقه بالأروعيّة تَطفحُ

المشبع العقل الذي أخلاقه ... غرُّ الوجوه حسيبةٌ لا تُرجحُ

الواسع الفضل الذي لِثنائه ... في كلّ خلقٍ من علاهُ مفتّحُ

الناصح الجَيب الذي آثاره ... عن حُسن ما يطوى عليه تُصَرِّحُ

يثنى عليه بالوفاء وإنَّما ... تمديحه بوفائه لا يَمدحُ

حرٌّ تفتَّح للوداد فؤَاده ... وكلامه عند النشا[2] يتفتَّحُ

فهو الذي إن ضاق في الخلق الولا ... ففؤَاده بالودّ مَغنىً أفيَحُ

وإذا تزحزَح رَكْبُه عن أرضنا ... فهو الذي في العهد لا يتزحزحُ

لا غروَ إن شَطَّ[3] المزار فإنَّه ... قلم اللبيب بكلّ مسك يَنفحُ

سَمْحُ القريحة في رهان قريضه ... يجري كما يجري الجواد الأقرحُ[4]

تلقاه يُرْعِفُ في الطروس يَراعَه ... كالسّيل في بطن الجَوا يتبطَّحُ

ويخوض في لُجج الفنون ويَجتني ... دُررًا بها صدر الزمان مَوشّحُ

---

(١) إشارة إلى أنَّ كلمة (شكيب) تعني: الصبور، وهي في الفارسيّة (شكيبيدن) والمصدر الأمري في اللغة الفارسية: شكيب.

(٢) نَثَّ الحديث: أذاعه ونشره.

(٣) شطَّ: بَعُدَ.

(٤) الجواد الأقرح: ذو غرّة كالدرهم بين عينيه.

تزهو جِنان العلم بين سطوره ... إذ كلُّ ما فيها لِعَيْنٍ مسرحُ

غُررٌ تُترجِم عن علوّ مقامه ... ولعلَّها من كلّ مدحٍ أفصحُ

يا صاحبًا سمح الزمان ببُعده ... وببعده وجهُ الزمان مكلّحُ

لا بدع أن تبعد وأنت عزيزه ... فالدهر يبعد في الورى ما يمنحُ

أُثويتَ في الشهباء أفسح منزلٍ ... لكن محلّك في فؤَادي أفسَحُ

من كان مثلك في لطافة طبعه ... لا زال يَنجع في الأمور ويَنجحُ

ما لي أُكتِّم من فراقك لوعةً ... يا ذا وطَرْفي بالبكاءِ مُقرَّحُ

أَشكو الزمان فإذ يصمّ لِرنَّتي ... أُوهِمت أنّي عنه حلمًا أصفحُ

هَذِهْ[1] رسالة صاحبٍ عبثت به ... شهباءُ طَيشُ جَماحها لا يُكبَحُ

إن كان يحسن أن يُزَجّي ركبها ... فيظنُّ أنَّ جوابها لا يَقبحُ

---

(١) هذه: يجوز فيها التسكين لضرورة الشعر، ويمكن أن تكون (هذي) بمعنىً.

وقال رثاءً لأحد الكرام

هي الأحكام يُصدرها القضاءُ ... فليس لِمُبرَم إلاَّ المضاءُ

ولا ينبو حسام الموت مهما ... أُتيح له على الخلق انتِضاءُ

لقد عمَّ الرَّدى كلّ البرايا ... ومات الناس حتَّى الأنبياءُ

وأصبحنا رعايا للمنايا ... علينا من ولايتها لِواءُ

ألسنا الخَلق غايتنا زوالٌ ... وعُنصر خَلقنا طِينٌ وماءُ

وسفرَ مراحلٍ وذويّ حياةٍ ... لها بالويل ختمٌ وابتداءُ

نُهِلُّ إلى البكاء متى وُلِدنا ... ويَصحبنا إلى الرّمس البكاءُ

ولا نرجو بذي الدنيا بقاءً ... ألاَ إنَّ البقا منَّا براءُ

حياةٌ كانسياب الطيف مَرًّا ... بدنيا للفناءِ هيَ الفناءُ

إذا كانت نهايتها خفوتًا ... فأطولها وأقصرها سواءُ

يَغرُّ المرء منها ورد عزٍّ ... يخال به السعادة وهو داءُ

موارد عَلْقمٍ تبدو عِذابًا ... كذا الدنيا وما فيها رياءُ

يدير الدهر فينا كلّ كأسٍ ... لنا من صَرْف خمرتها انتِشاءُ

ويُرهقنا من الأرزا ببطشٍ ... تُقَصِّر دونه الأَسلُ الظِماءُ[1]

يمزّق في البريّة كلَّ شمْلٍ ... فيصبح مثلما نثرَ الهَباءُ

ويَهدم للمعالي كلَّ ركنٍ ... فيشمله بأيديه العَفاءُ[2]

كذا قضت الليالي في بينها ... بأنْ لا يَستَتِبَّ لهم هناءُ

---

(١) الأسل الظماء: الرِّماح العطشى إلى الدم.

(٢) العفاء: الهلاك والتراب، ويريد بها الفناء (تجوّزًا).

لعمرك في البَريّة أيّ أمٍّ ... على أولادها مِنها اعتداءُ

فوا عجبًا لضاهدة[1] لديها ... أواصر ما بهنَّ لها اعتناءُ

لقد آلت رعاها الله قُدمًا ... يمينًا أن تُسرَّ بما نُساءُ

تفجَّعنا بكلّ فقيد فضلٍ ... عليه يُلطِمُ الوجهَ العلاءُ

لقد كانت تتيه به المعالي ... وكان عليه من شرَفٍ رداءُ

رويدك أيُّها المنعيُّ نعيًا ... به تُنعَى المكارم والرجاءُ

ويا مُتَرحِّلاً مهلاً لعمري ... فداك الناس لو صحَّ الفداءُ

وردَّ حمامك الآسون لكن ... دويُّ الموت ليس له دواءٌ

تناديك الفضائل وهي تبكي ... ولكن ليس يَنفعُها النداءُ

وكم جفَّت عليك شؤون دمعٍ ... بعينٍ لم تَجِفَّ لها دماءُ

ألم تشفع بك العليا فعهدي ... بها أبدًا لها معك الإخاءُ

وكنت لمعشرٍ زَينًا وكانت ... تحفُّ بك السناوة والسناءُ[2]

ألا من مبلغ الإفضال عنّي ... تُوفّي نَدْبه وله البقاءُ

فإنْ يَجزع فليس عليه لومٌ ... كذا تبغي الصداقة والولاءُ

وإن يَصبر فذاك على فقيدٍ ... بنشر حياته كُفِلَ الثناءُ

أغرَّ أبرَّ سمح الخلق كانت ... تُصَرِّفه السماحةُ ما تشاءُ

عليه مدَّت التقوى وِشاحًا ... وشدَّ به مناطقه الصفاءُ

إذا أمَّ العُفاةَ ندى يديهِ ... فكم يعرو الحيا منه الحياءُ

حوى غُرَر الخلال وكلّ حرٍّ ... له بسَنيّ شِيمته اقتداءُ

فتبكيه المفاخرُ والمعالي ... وتندبُهُ الطلاقة والسخاءُ

---

(١) ضَهَدَهُ: قَهَرَهُ.

(٢) السناوة والسَّناء: هي من المجد والرِّفعة والشرف.

وكان ثناؤُه في القوم طرًّا ... يَضوع ولا كما ضاع الكِباءُ[1]

فإن يكُ فارق الدنيا مُجدًّا ... فأَثوَتْهُ[2] مراقيَها السماءُ

لينعم باللِّقا أبدًا وفيها ... يكون به احتفالٌ واحتِفاءُ

فيا أنجاله الأنجاب مهلاً ... عزاءَكمُ وإن عَزَّ العزاءُ

ولست أزيدكم حبًّا بصبرٍ ... جميلٍ بُرْد لابسه بَهاءُ

ولا راعَ البلاءُ لكم قلوبًا ... ولكن في البلاء لكم بلاءُ

ولا يُبكَى على من فات دنيًا ... لِيَخْلُد في النعيم له ثواءُ

فيا صَوب الحيا باكِر ثَراه ... فمنه طالما سَحَّ العطاءُ

وَزُرْ جدَثًا بقرب البحر تعثر ... على بحرَين بينهما التقاءُ

هنالك غَيَّب الأُقوام شهمًا ... وغُيِّبَتِ المُروءَة والوفاءُ

ويا ذاك الفقيدُ اَذهب فحاشا ... مقامك أن يقوم به الرثاءُ

عليك سلام ربّك ما توالى ... صباحٌ منذ يومك أو مساءُ

ومن كان الصَّلاح له ابتداءً ... فبالأجر الجزيل له اَنتهاءُ

---

(١) الكِباء: عود البخور.

(٢) أثوته: جعلت له مثوىً.

وكتب مجيبًا صديقه الفاضل أيّوب أفندي عون في حلب

ما لِذات الوشاح جاءَت تَبَخْتَرْ ... والضواحي برُدْنها تتعطَّرْ

تقتل الصَّبّ بالرُّنوّ فَيُردَى ... وتلافيه بالدُّنوِّ فيُنْشَرْ

غادةٌ في خدودها جنّةٌ للـ ... ـعَين والثغر للمرَاشف كَوثرْ

تُخجِل البدرَ طلعةً حين تبدو ... تفضحُ البرق مبسمًا حين تَفْتَرّ

جَرَّدت من قوامها كُلَّ رمحٍ ... وانتَضَت من لحاظها كُلَّ أبترْ

كلَّما أسلمت لَحَدَّيْهِ روحٌ ... صاح يا مسلمين الله أكبرْ

ما انثنت أو رَنَت لعمريَ إلاَّ ... حاربَتنا بأبيضٍ بَعدَ أسمرْ

دميةٌ بِيعةَ النفوس أُحِلَّتْ ... ما رآها الحَنيف[1] إلاَّ تَنصَّرْ

تتجلَّى عن جبهة وضحاها ... فلهذا منها سنا الشمس أسفرْ

ذاتُ وجه إذا تلاها منيرٍ ... ذات ثغرٍ عن مثله صَلٍّ وانْحَرْ

وصلَت بعد هجرةٍ فأقامت ... من هوانا كمُقْلةٍ من محجرْ

أَنستنا حتَّى إذا ما ائتلفنا ... فتكت فتكة الرَّشيد بجَعفر[2]

إنَّما الحبّ مثلما قِيل قتلٌ ... وارد الحبّ ما له مشن مَصدرْ

ما لنا نعشق الحِسان وندري ... أنَّ حُمر الخدود موتٌ أحمرْ

ويح قلبي يهيم في كلّ وادٍ ... وهو يسعى ورا الظباءِ النُّفَّرْ

تستبيه بكلّ أَلعس[3] أحوَى[4] ... أفلَجٍ تحت كلّ أَدعج[5] أحورْ[6]

---

(١) الحنيف: المتمسّك بالإسلام.

(٢) هارون الرشيد وجعفر البرمكي، وكان الرشيد قد نكبه سنة (٨٠٣)م.

(٣) اللَّعَس: سواد مُسْتَحْسَن في الشفة.

(٤) الحُوَّة: سوادٌ إلى خُضرة أو حُمرة إلى سواد، فصاحبها أحوى.

(٥) دَعِجَت العين: صارت شديدة السواد مع سعتها، فصاحبها أدعج.

(٦) الحَوَر: شدّة بياض العين وشدّة سوادها، وهي جميعًا من علامات الجمال.

وغـزالِ عشـقتـه ذي لِحـاظٍ ... يسكر العقل حيرة حين تسكرْ

تـمَّ حُسْنًـا كأنَّـه وأَيْـمُ ربّـي ... مثلما شاءَ في الجمالِ تَصـوّرْ

مائسُ العطف عن معاطف بانٍ ... ناعس الطَّرف عن محاجر جُؤْذرْ[1]

قد تنبّا حُسنًا فخوطب بالرو ... ح وأحوى العذار وَحْيٌ مُسَطَّرْ

مالـكٌ للقلـوب في دولـة الـ ... ـحبّ غدا داعيًـا له كلّ مِنبرْ

هو كِسرى الملوك لحظًا ولكن ... فعله بأمرِ الهوى فعل قَيصرْ

لا أزالَ الإلـه دولـتَهُ الـغَـر ... ـا وإن كـان قد طغـى وتَجبَّرْ

إنَّ في ظـلّهـا رعـايـا معـانٍ ... نصرتها في الفتك نصرًا مُؤَزَّرْ

جالَدَ الثغرُ كلّ قلب إلى أن ... فُتِقَت ريحُ ذا الجِلاد بعنبرْ

ورمى الوجدُ كلَّ صدرٍ بنارٍ ... وغزا الحبّ كلَّ نفسٍ بعسكرْ

إنَّ سهم العيون ينفذ في الصد ... رِ ولو أُلبس الحديد المَصْفَرْ

موطـنٌ عنده يَهـي كلُّ عـزمٍ ... ويُولّـي قَذالـه[2] كلُّ مسعَـرْ

ينفد الصبر فيه من جُعبة الصد ... رِ لعمري حاشاك بل أنت اصبرْ

يـا عجيب الذكاءِ يـا نادر المثـ ... ـل الذي ظلَّ للعجائب مظهرْ

أنـت والله من كنـوز الليـالـي ... أبرزَتك الأقدار كلك جَوهـرْ

بـك يَفـترُّ ثـغرُ كلّ لـبيـبٍ ... وبآثـارِكَ المجـالـسُ تـزهَـرْ

المـعـيُّ تكـاد تُضـرِم يـا ذا ... مـارِجَ النـار حينمـا تتفكَّـرْ

لك في الفضل أيُّ شأوٍ بعيدٍ ... كم وكم عن مداك ذو السَّبْق قَصّرْ

كيف نحكي علاك يا كامل العُـ ... ـدَّةِ إذ نحن في مجالك حُسَّرْ

يُطرِب الشعر منك أحسن ما يُط ... رِب صوت الخِلخال في ساقٍ أَعفَرْ[3]

---

(١) جؤذر: ولد البقرة، يشبّهون بعينَيه لجمالها. (دخيل من الفارسيّة، وعربيُّه بفتح الذال).

(٢) القَذال: ما بين الأذُنين من مؤخرّ الرأس.

(٣) الأعفَر: الذي يعلو حمرته بياض.

يا لكَ الله من أديبٍ إذا ما ... عُدَّ يومًا فغيرهُ ليس يُذكرْ

قَرَنَ الجهد بالذكاءِ فأمسى ... كلّ سهمٍ له من الفضل أوفرْ

بينه في الذكا وبين سواهُ ... فرق ما بين أميلٍ ومكفَّرْ

جاءَني منك يا خليلي كتابٌ ... لا تسل كم سَرى كُروبي وكم سَرّ

طالما اشتاقه فواديَ حتَّى ... ضاع منه فَتيقُ مسكٍ أذْفَرْ

ما كفى يا فريدة العقد حتَّى ... أصبح اليوم أَكْتَب القوم أشعرْ

ما ترى في فتاة خِدْرٍ سَبَتْني ... بمعانٍ بها المدارِك تَخدرْ

بطرازٍ من الفصاحة أزرى ... صنع صَنعاءَ وهو وَشيٌ مُحَبَّرْ

أنت يا معدنَ اللآلي الغوالي ... مثل ذا الدُّرّ منك لا يُستكثَرْ

جئت تثني على بياني وفضلي ... ذاكَ تالله أَنتَ أذكى وأَمهرْ

قد كفتني منك الشهادة في إثـ ... ـبات من قال بالخلاف وأنكرْ

وبعون الإله يا صادق الأفـ ... ـعال قد رُدَّ شانئي وهو أبترْ[1]

قلْ لمن رام ستر فضليَ بغضًا ... لم تكن شمس ضحوة لِتُستَّرْ

إنَّ لي كلّ طعنةٍ في مجالٍ ... عفَّرت عارض العزيز الأَصْعرْ

لي من الحزم جنَّةٌ[2] ودِلاص[3] ... ومن العزم لأمةٌ[4] وسَنَوَّرْ[5]

وبكفّي من المضاءِ حسامٌ ... وعلى هامتي من العزّ مغفرْ[6]

لا ترى من يريد بي السوء إلاَّ ... واقعًا تحت ظفر ليثٍ مُظفَّرْ

منذريٌّ يفي النذور إذا أنـ ... ـذرَ يوم اللقا أطاحَ وأندَرْ[7]

---

(١) الأبتر: المقطوع الخير.

(٢) الجُنّة: السترة.

(٣) الدلاص: اللّين والبرّاق من الدروع.

(٤) اللأمة: الدرع.

(٥) السنوّر: جملة السلاح.

(٦) المغفر: زرد يلبسه المحارب على رأسه.

(٧) أندَر: أتى بنادرٍ من قولٍ أو فعل.

قيل في اسمي ليثٌ صبورٌ لَعمري ... لا يكون الصبور إلاَّ غَضنفرْ

لست ممَّن يقول شيئًا فريًّا ... أنت في كُنه حال خِلِّكَ أبصَرْ

ولكم كنت للضعيف معينًا ... وكما قلت لي مُجيرًا لمعشرْ

إن يكونوا بيَ استجاروا فمنّي ... يستظلون تحت لبدة قَسْورْ[1]

يا صديقًا نأى على متن شهبا ... ءَ سَبوحٍ من الجياد الضُّمَّرْ

إن أَرُمْ ترْكَ ذِكره فهو أشهى ... أو أَرُمْ ذِكر فضله فهو أشهرْ

ولعمري من كان بالسعي أجدى ... فهو بالذِّكر والمدائح أجدَرْ

إنَّ شوقي إليك جمٌّ ولكن ... جَمُّ عتبي عليك أوفى وأغزرْ

أين كتب الأصحاب تطلع تَترى ... مثلما يُحتَسى السُّلاف المُكرَّرْ

هل نسيت العهود هيهات ما كا ... نت عهودٌ ما بيننا العمر تُخْفرْ

يا رعى الله عيشنا سابقًا والـ ... ـدهر ولَّى بذيله يَتعثَّرْ

تلك أيَّامنا تَقضّت سريعًا ... كخيال المنام ليلاً إذا مَرّ

كم رشفنا كأس السُّرور دِهاقًا[2] ... وهصَرنا غصن الصبابةِ أخضرْ

جمع الله لي بكم عن قريبٍ ... خير شملٍ بجاه طَه[3] الأزهرْ[4]

---

(١) القَسْوَر: الأسد.

(٢) دهق الكأس: ملأها، والكأس الدِّهاق: الطافحة.

(٣) طه: من أسماء الرسول (ص).

(٤) الأزهر: المشرق المنير.

واقترح عليه الرثاء الآتي لأحد أعيان لبنان

أعلمتَ مَن فُجعتْ به تلك العُلى ... وسألت أيَّ رجالها صرَع البِلا

حتَّى اكتَسَت ثوب السواد لفقدهِ ... وتناوحت بالندب نوحًا ثُكَّلا

وعرفت مِن لبنان أيّ شيوخه ... غال الرَّدى حتَّى أُميل وزُلزِلا

يهتزُّ هذا اليوم عن قَذَفاتهِ ... إذ قد مضى من كان منه مُثقلا

مَن كان أسبق قومه فضلاً ومَن ... قد كان صدر ذوي المآثر مَحفلا

مَن كان أَفْقَه عَصرِه وأسدَّ من ... عركوا مشاكله وأفتح معضلا

مَن كان نُبل القصد في أعماله ... شرعًا وكان الفضل فيه مَنهلا

مَن كان أمضى همّة من صارمٍ ... في كفّ مُختَرطٍ وأفتك مقتلا

مَن كان من عزَماته في جِحفلٍ ... أمسى يَفُلُّ من الحديد الجِحفلا

مَن كان من حزم النُّهى في حزمةٍ ... تَزري مطاعنها الرماح الذُّبَّلا

سبق الرجال إلى المآثر فاعتلى ... شرفًا وبرَّز مَجدُه فتأثَّلا

وقضى زمانًا بالسَّداد ورأيُه ... في الفِقه لا يرتدُّ إلاَّ فيصلا

وقضى حقوقَ المجد إذ لم يعتزل ... إلاَّ وقد بلغ السِّماكَ الأعزلا

حتَّى قضى والموت فينا سُنَّةٌ ... وسيوف مدرَجه رواتعُ في الطَّلا[1]

جار القضاءُ على القضاءِ بموته ... لو لم يكن بين الخلائق مُنزَلا

فهو الذي أحيَى رسوم الشرع في ... لبنان تنسف سَوحه[2] أيدي البِلى

وهو الذي فيما مضى غرَس المنى ... فجناه أهلُ زمانه مستقبُلا

---

(١) رواتع في الطلا: ثابتات في الأعناق.

(٢) السوح: الدار والساحة.

عـمَّـت فـواضِلُـه البـلاد كأنَّمـا ... قد كـان منهـا بالفـلاح مُـوكَّـلا

رنَّ الزمـان بذكـره وبفـضلـه ... حفلت مغاني العلم وامتلأَ المَلا

هو راجح العقل الذي من عقله ... وثبـاتـه بنَـت الحَصَافـة مَعقِـلا

رَبّ البيـان البَيِّـن اللَّسِـن الـذي ... قد كـان أذلـق من سِنـانٍ مِقـوَلا

رَحبُ الذراع إذا الجدال تدافعت ... أفـواجـه تـرك الخصيـم مُجـدَّلا

ما كان يقصر في السماح تَفضّلاً ... يَمتـاح[1] منـه ولا يَـردُّ مُؤَمِّـلا

يـا قـاضيًـا بـات المنـاصب بَعـده ... تبكي وجِيْدُ المكرمـات مُعَطَّـلا

مَن عـاش دهـرًا لا يُشـقُّ غبـاره ... فضلاً وكـان بنـاره لا يُصطَلـى

ولَّيت عن دار الفنـاءِ إلى البقـا ... فَولّيت في الدارين وضَّاحَ الـوَلا

والنـاس ركـبٌ سـائـرون بمهيَـعٍ[2] ... للمـوت يَتَّبـعُ الأخيـرُ الأوَّلا

يسعـون للأُخـرى وتلك حقيقـةٌ ... مذ كُوِّنَـت هَذهْ مجـازًا مُرسَـلا

والمرءُ رهـنُ كـوارثٍ مـا تنقضى ... تُلـقـي عليـهِ كـلَّ يـومٍ كَلْكَـلا[3]

والنفـس تملأُ جسمـه فإذا مضت ... وجـدت مضيـقَ لهـاتـه مُتَسَهِّـلا

لا تخـدع الدنيـا اللبيـبَ فكلّنـا ... بتنـا علـى حـكـم المَنـيّة نُـزَّلا

فاذهـب عليـك من الإلـه تحيَّـةٌ ... تجنـي بهـا ثَمـر النعيـم مُعلَّـلا

تُحدَى السحائبُ في السما حتَّى إذا ... بلغت ثَرى مَثواك سَحّت هُطَّـلا

---

(١) مَتَحَ: استقى.

(٢) المهيَع: الطريق.

(٣) الكلكل: صدر البعير، مثلٌ ضربته العرب للثقل العظيم.

وقال يرثي حضرة العلأمة الفاضل الشيخ
الإمام محيي الدين أفندي اليافي الشهير تغمّده الله برضوانه

أحقًّا علينا الدهرُ دارت دوائره ... أما أنه للدين صارت مصائرُهْ
فشدَّ على الإسلام ذا اليوم رَيبُهُ ... بخطبٍ وكانت لا تُعَدُّ كبائرُهْ
إلاَّ أنه الدهر المصرَّحُ باسمه ... بأنْ لا فتىً إلاَّ غدا وهو داهرُهْ
بواتره فينا مُجرَّدةٌ وما ... بواتره والله إلاَّ بوائرُهْ
لها كلّ يومٍ في البرية فتكةٌ ... تناديك لا مَنجاة ممَّا تُحاذرُهْ
فكم ملك ضخم تَخطَّفه الردى ... قساورُه من حوله وأساورُهْ
تخرَّم كِسرى كاسرًا حدَّ بطشه ... وقيصرَ أردى ما وَقَتْهُ مقاصرُهْ
وما زال يُفني كلَّ عِزٍّ يؤمُّهُ ... ببأْسٍ ويُلقي كلَّ قِرْنٍ يُساورُهْ
هو الموت من ذا دافعٌ مبرمَ القضا ... إذا الواحد القهَّارُ وافت أوامرُهْ
فسبحان من تعنو الوجوه لوجهه ... ولا حيَّ إلاَّ وهو بالموت قاهرُهْ
دعا اليوم محيي الدين نحو جنابه ... يقرِّبه من قُدسه ويُجاورُهْ
سَرى نَعْيُه في كلّ حيٍّ ففي الوَرى ... تعازيه لكن في الجِنان بشائرُهْ
وباتت شؤُون الدين تجري شُؤُونها[1] ... على فقده والفِقه تدمى محاجرُهْ
وكلّ امرئٍ يبكي عليه دمًا فما ... عواذِله في الحُزن إلاَّ عواذرُهْ
لعمرك ما للشرق ذا اليوم أقتَمتْ ... مشارقهُ والكون أظلمَ ناظِرُهْ
وللدين وجدٌ ليس تُطفأُ نارُه ... وللشَّرع طَرفٌ ليس يقلع ماطِرُهْ
أصاب بني الإسلام خطبٌ عَرمرمٌ ... بذا اليوم فالإسلام تبكي منابرُهْ

---

(١) شؤون: أمور، وشؤون (الثانية): دموع.

لقد كان فيه الشيخ ركنًا مشيّدًا ... وكانت طلاعَ الخافقين مآثرُهْ

فطبَّق آفاق البرية ذكرُهُ ... وسار به بادي الزمان وحاضرُهْ

هو الجِهْبذُ المفضال والقدوة الذي ... ذكت كسجاياهُ وطابت عناصرُهْ

إمامٌ بأفواه الجميع علومه ... وبحرٌ بأعناق الجميع جواهرُهْ

جزيل الأيادي ساعِدُ الفضل عَضْدُه ... جليل المبادي مُسعدُ العلمَ ناصرُهْ

مبارك خلقٍ طيّب الذكر عابدٌ ... مهذَّبُ طبعٍ مُشرق الوجه سافرُهْ

بقيّة ذاك الصالح السلف الذي ... بأمثاله الأقطابِ جلَّت ذخائرُهْ

قد ارتفعت أسراره وتطهَّرت ... له سِيَرٌ غُرٌّ حكَتها سرائرُهْ

وأصبح في أيامه عَلَم الهُدى ... تعمُّ البرايا بالضياءِ منائرُهْ

تداعت بيوت العِلم يوم وفاته ... وخرَّ عِمادُ الفَضل وانهدَّ عامرُهْ

وراح عليه الفِقْه يلطِمُ وجهه ... إذ انتكَثَت[1] ممَّا دهاه مرائرُهْ[2]

ولم أدرِ أنَّ الصبر تفنى دروعه ... إلى أن قضى والعزم تُفْرَى مغافرُهْ

فقد فرغت من كلّ باكٍ دموعه ... كما نزفت مِن كلّ راثٍ محابرُهْ

تَرَحَّلَ عن دار الفناءِ إلى التي ... بها عَيشه في الخلد تجرى كواثرُهْ

فقد دُكَّ طَودٌ باذخُ المجد شامخٌ ... وغُيِّضَ بحرٌ زاعبُ الفيض زاخرُهْ

وأُغمِد سيفٌ صارمُ الحدّ باترٌ ... وغُيِّبَ بدرٌ ثاقبُ النور باهرُهْ

سلامٌ على قبرٍ تضمَّن تُربَهُ ... فذلك لحدٌ ساطع العَرف عاطرُهْ

سقت تربه الوَطفا ولا برحَ الحيا ... يُراوحُهُ في رَجعه ويُباكُرُهْ

وما الموت إلاَّ مسلك عَمَّ نهجهُ ... وجسرٌ جميع الخلق لا بدَّ عابرُهْ

وما المرءُ إلاَّ ميّتٌ وابنُ ميّتٍ ... ومَن بَدءُهُ الميلادُ فالموتُ آخِرُهْ

---

(١) انتكثت: انتقضت.

(٢) المرائر، مفردها المريرة: العزيمة.

وكتب إلى أحد الأدباء

ما بين غزلان العقيق وبانهِ ... حربٌ بها بطلُ الهوى كَجَبانِهِ

الموت بين العاشقين موزَّعٌ ... ممَّا جرى للعطف مع أقرانِهِ

والقَدّ يطعن مثله لكن يرى ... مطعونه مُلقى بغير سِنانِهِ

حربٌ تَضرَّمُ بالحضيض سعيرها ... وعجاجها بالجَزْعِ فوق رِعانِهِ

عبثت بعشّاق العقيق وأوغلتْ ... فدماؤُهم تُربي على غدرانِهِ

لم يرهبوا بأْسًا لقاءَ أسوده ... فأبادهم حتفًا لِقا غزلانِهِ

لم يُنْجِهم تكسير مُرَّان العِدى ... مِن فَتْكِ قَدّ الحبّ في مُرَّانِهِ

يا زائرًا تلك الربوع وسائرًا ... بعراصها الفيحاءِ في ركبانِهِ

إن تَنْزَلَنْ سَفْحَ العقيق فأشرفَنْ ... واَسفَح عقيقَ الدمع مع عِقيانِهِ

وتأمَّلَن صنع الهوى بفريقه ... فإذا رضيت فبَعدَ ذلك عانِهِ

وانظر أيا مُستسهلاً طُرق الهوى ... لِمصارعِ العُشّاق في ميدانِهِ

لأعزَّةٍ عصت الهوى بحروبها ... وتُخُرِّمَتْ بين الهوى وهُوانِهِ

لتسيل أَجفان الظُّبى رُعبًا وكم ... ظبيٍ تسيل على ظُبى أجفانِهِ

لم تختشِ القُضُب الصوارم في الوغى ... وسَطَا عليها البَان في قضبانِهِ

سُبحان من خلق الفوادَ وطامَهُ ... أبدًا على حُبّ الحِمى وحِسانِهِ

وأعزَّ سلطانَ الهوى حتَّى غدت ... أسمى ملوك الأرض من عبدانِهِ

رقًّا كما رقَّ القريض لمن غدا ... بالألمعيّة مالكًا لعِنانِهِ

الشاعر المتفنِّن النَّدْبُ الذي ... يَروي حديثَ النظم عن حَسَّانِهِ

أبدى فأبدع في البيان وإنَّه ... سحر النهى ببديعه وبيانِهِ
هو ناصر الأدب المهذَّب خلقه ... من لا يُشَقّ غباره برهانِهِ
هو واحد العلم الذي في قومه ... قد بات أفضل راضعٍ للبانِهِ
إن يُنتدب للفضل كان العين في ... أعيانه والأصل في أعوانِهِ
تَخِذ الدراسة شغله ونعيمه ... فغدت نتائجها جِنان جَنَانِهِ[1]
هذا أبو الفضل الذي لا بدّ أن ... يُمسي ببقعتنا بديعَ زمانِهِ[2]
وافى وما انصاح النهار بليله ... زمنًا فحلَّ الصدر من إيوانِهِ
يلهو بأنواع الفنون ويحتسي ... مِن عَصر من سلفوا سُلافةَ حانِهِ
وله الرقائق في الكلام يُجيدها ... نظمًا يُسلي المرءَ عن أشجانِهِ
قد أبرزته قريحةٌ سيَّالة ... تزري بصَوْب المزن في تَهتانِهِ
يا سامعًا عنه البدائع مُعجبًا ... مهلاً فليس سَماعِه كعيانِهِ
إن سرت في الوطن العزيز فاشملَنْ ... وانزل بذاك السَّفح من لُبنانِهِ
في مَعْلمٍ كالروض في حَسناته ... تجنى ثمار الخير من أفنانِهِ
فانزل على سعةٍ برحب فِنائه ... وانظر مآثر من عجبت لشانِهِ

---

(١) الجِنان، مفردها الجنّة، والجنان ـ بفتح الجيم: القلب.

(٢) يريد بديع الزمان الهمذاني، (٦٩٨ ـ ١٠٠٧)م. من أئمّة الكُتّاب، ورائد فنّ "المقامة".

وقال يرثي الطيّب الذّكر الصديق العزيز سليم أفندي البستاني صاحب الجنّة بل الجِنان

الدهـر أفتـكُ فـارس بِطِرادهِ ... أبـدًا وأكـثـر فـتـكِه بجيـادهِ

يخنى فإن قصدِ الفتى لم ينتفع ... بمضاء صارِمه وطُول نِجادهِ

ما إن يُصوَّب نحوه سهم البلا ... إلاَّ وكـان السهـم في إقصـادهِ

لا ينفَعَـنْ قَـول النصوح لخلِّه ... احـذَر فـإنَّ الدهـر في مرصـادهِ

الدهـر في مرصاده طـول المدى ... يُردي وكلّ الوقت فَصلُ حَصادهِ

يُـوري زِنـاد الحـادثـات وإنَّمـا ... وقفٌ عليه بها اقتداحُ زِنـادهِ

يرمـى الورى بنبـال بؤْسـاه ولا ... غَـرْوٌ فهـذا عـهـده من عـادهِ[1]

أبـدًا يُنـاصبهـم وهـم أبنـاؤُه ... فهـو الذي أخنَـى على أولادهِ

يسطو على المرء المنى بعد العنـا ... قَسـرًا فمـاذا النفـع من إيجـادهِ

يَرِث الفناءَ وقد يرى من لم يَرِث ... شيئًا سوى ذا الموت عن أجدادهِ

لا يشفعـنْ بالمرء غَضُّ شبـابه ... عند الحِمـام ولا ذكـاءُ فـؤَادهِ

البَيـن يَخترم الجميع وليتمـا ... قد كـان كلُّ البين بَيْنَ سعـادهِ[2]

بَينٌ كفـى الدنيـا نُعـاب غُرابـهِ ... وبـه كفـى متشـائمًـا بسـوادهِ

يُـردي الحبيب وخلّه متقلّبٌ ... في مضجعِ أهنـاه شـوك قَتـادهِ[3]

متعرّضًـا بالنـائبـات الغُبْرِ في ... إصـــداره أبـــدًا وفـي إيـرادهِ

---

(١) عاد: قومٌ من قدماء العرب، بادوا قبل عصر الرسول (ص)، مثل ثَمُود.

(٢) إشارة إلى مطلع القصيدة الشهير « بانَتْ سُعادُ »

(٣) القَتاد: شجرٌ صلب له شوك كالإبَر.

يـا أيُّهـا البَيْـنُ المُفَـرِّق بيننـا ... إذ فيه معنى الدهر في استبدادهِ

الدهر أنزق شيمةً من أن يُرى ... بالحـزم ذا بَقْـيٍ على أفـرادهِ

مـا زال يُفجعنـا بهِم حتَّى غـدا ... شرف الفتى بين الورى بمَعادهِ

فلبئس عيشٌ بات مُخترمًا به ... مثـل السـليـم رزيـئةً لبـلادهِ

ولبئس أفضـالٌ ومجدٌ بعـده ... ولَبئسـت الأيّام بعـد بعـادهِ

من هزَّ هذا القُطرَ فاجعُ فقدهِ ... حتَّى تَفَطَّر فيه قلـبُ جمـادهِ

وسطا على الصبر التفجّع بالغًا ... سيل الأسى الطامي ذرى أطـودهِ

وتـوفّـيـت آمـالـنـا من بعـدهِ ... مـا الدهـر يُحييهـا إلى آبـادهِ

الأروعُ الشـهـمُ الذي بعلـومـه ... وجَـدائـه[1] كالبحـر في إزبـادهِ

الطـائـرُ الصِّيـت الرفيع مقـامـه ... والبـاهـر الحسنـات في إسعـادهِ

الطيّـب الذكـر الشهيـر بلطفـه ... وسـنـائـه ومَـضائـه وسَـدادهِ

من كـان رَبَّ المكرمـات وآيـةً ... بوفـاء شيـمتـه وصدق وِدادهِ

من كـان بـابًا للرجـاءِ مبلـغًا ... في الخطب من يرجوه شأْو مُرادهِ

من كـان مالـك كلّ لطفٍ باهرٍ ... وملاك كلّ سنًا وظرفٍ شـادهِ[2]

وقف الحياة لخدمة العِلم الذي ... قـد كـان حقًّا باسطًا لمهـادهِ

ومضى شهيد الاجتهاد وجهـده ... في العلم لم يقدر على إجهـادهِ

فقضى بُعَيـد أبيـه في أجـلٍ أبى ... إلاَّ اتّـصـال حِـدادهِ بـحِـدادهِ

أسفًـا عليـه وكـان ركنًـا للعلـى ... وقـوامـهـا بـطـريـفـه وتِـلادهِ

أيام باهـر مجده يَذَرُ[3] السُّهى ... وكواكب الأفلاك مِن حسّـادهِ

أيـام لا تـلـقـاه إلاَّ جـاهـدًا ... ومجاهدًا في العلم حقّ جهـادهِ

---

(١) الجداء: العطاء.

(٢) الشاده: المدهش، وقيل: الشاغل.

(٣): يَذَر: يَدَع.

أيـام أمضـى من حسـامٍ بـاترٍ ... تنضى رزايـا الدهر في إغمـادهِ

أيـام إن صعـد المنـابرَ خـاطبًـا ... تهتزّ من عجـبٍ ذرى أعـوادهِ

يـا راحـلاً عنّـا رويـدك إنَّمـا ... من سـار لم ينـدم على أروادهِ[1]

مهلاً لتُبصرَ حالَ من غادرتهم ... وتـرى قضـاء الله بين عبـادهِ

من كلّ من تَخذِ السُّهادَ سميره ... وأقـام نـوَّاحًـا على تَـعـدادهِ

من كلّ من نظم المراسي جاعلاً ... من ذَوب عينيـه سـواد مِـدادهِ

لو كنتَ تُفدى من بني دهرٍ فَـدا ... كَ الأَلْفُ بعد الأَلْفِ من آحادهِ

غادرت ذكرك في الورى لا نافذًا ... بـل تنتهـي الأيّـام قـبـل نَفـادهِ

فاذهب إلى مولاك يا من قد قضى ... والشكـر للرحمـن أكثـر زادهِ

---

(١) أرود (في السَّير): تمهّل.

وقال مجاوبًا أحد الأدباء

أخفُّ ما نال منّي الطَّرْفُ ما أرقا ... وخير ما سرَّ منِّي القلب ما خَفَقا

ونَزْرُ ما كادني ذا الدهر جَور نَوى ... أصابني بسهامٍ تخرق الدَّرَقا[1]

طمعت بالوصل مشتاقًا فماطَلني ... وجدَّ ركبُ التنائي بي فما رفقا

ما إن دنَت من فوادي مُنيَة قصدَت ... إلاَّ وسدَّ لها من دونيَ الطُّرُقا

كأنَّما حلَف الدهر الخوؤُن بأن ... يَحول بين فوادي والذي عَلِقا

ورابني صَرفهُ فيما يُعنِّتني ... أنْ كيف خلَّفَ لي من بعد ذا رَمقَا

لله أيُّ نسيمٍ ليس يُذكرني ... وأيُّ ساجعةٍ لم تجدِني قَلقا

يميل قلبي وقد لجَّت نوازعه ... ما ميَّلتْ نسماتُ الفجرِ غُصنَ نَقا

يا غائبًا مُخلِصًا لي في مودَّته ... ولست أعرف منه غيرَ ما نَطقا

فَدَرَّ دَرُّكَ مِن خلٍّ سما خُلُقًا ... لأنتَ أفضل مَن في ودِّه صدَقا

تفدي القلائدُ آثارًا له سبقت ... إليَّ والفضل لا يَخفى لمن سَبقا

لا غروَ إن أرَها من قبل صاحبها ... إنِّي أرى الصُّبحَ لكن قبله الشَّفَقا

لله من صاحبٍ صُغرى محامده ... مودَّةٌ محَضَت لا تعرف الملَقَا

مهذَّب إن بدا منه الثناءُ ففي ... شريف أخلاقه رَوض الثنا عَبَقا

أهدى إليَّ قريضًا من طرائفه ... يومًا فقلَّد منِّي الصَّدرَ والعنُقا

كالبدر متّسقًا والدرّ منتسقًا ... والصبح منبثقًا والغيث مُندَفِقا

شعرٌ لكلّ اختراع جاءَ مفتتحًا ... من بعد ما كان هذا الباب مُنغلقا

---

(١) الدرق: نوعٌ من الدروع.

سحرٌ لقد لعبت بالقوم فِتنتهُ ... بلا طلاسمَ تُخفي سرَّهُ وَرُقى

جازيك من شاعرٍ أن تَسْتَجِدْهُ إلى ... نظمٍ مضى فيه مثل السهم إذ مَرقا

إذا أنبرى في مضامير البيان غدَت ... جِيادُهُ في المعاني تركض الرَّهَقى[1]

يرِقّ[2] في النظم حتَّى يِسترقّ[3] به ... ويُستَرقّ إذا ما جاء مُستَرقا[4]

لبّيك يا خاطبا منِّي الوداد ترى ... منِّي فتًى دهرَهُ للودّ ما مَذقا[5]

قد طالما سمعت أذني وما نظرت ... بواصري فليفاخِرْ مسمعي الحدَقا

فإن عرفت فإنِّي ناظرٌ ثمرًا ... لكنَّني لم أرى عُودًا ولا وَرَقا

يا قاتَلَ الله حظّي والفراق هُما ... على مُناصَبتي دهرًا قد اتّفَقا

فهل أُرجِّي مِن الدنيا الصلاح ولم ... تزَل وفيها غُراب البَيْنِ قد نَعَقا

لكن على المرء عَرك الدهر طاقتَهُ ... ولو تحمَّل ذو الهِمَّات كلَّ شَقا

حبّ السلامة يثني عزمَ صاحبه ... فإن جَنَحْتَ إليه فاتَّخِذ نَفَقا

---

(١) الرهقى: نوع من عَدْوِ الخيل السريع، يُرهق الذي يطلبه.

(٢) رقّ: خلاف خَشِن.

(٣) استرقّ: استعبد (من الرِّقّ).

(٤) المسترقّ: الضعيف الناقص.

(٥) مَذَقَ (الودّ): لم يُخلِص فيه.

وهذا جُلُّ ما نظمه وهو طالب في مدرسة الحكمة الزاهرة تهاني بالأعياد لسيادة موسّسها الحَبر الفاضل المطران يوسف الدبس

قال وهي من أوائل نظمه

أَبدرٌ بدا أم سنًا باهرُ ... وعطرٌ سرى أم ثنًا عاطرُ

أم انبلجَت غرّة العيد حتَّى ... تزاهى بها وجهه السافرُ

وفَتّقَ فيه نوافحَ مدحٍ ... أريج العطايا به ذافِرُ

فانعم به عِيد يُمنٍ جلا ... همومَ الورى بِشْرهُ الظاهرُ

وأنساهمُ اليومُ نُعماه ما ... يَعنتهُ أمسه الدابرُ

فلا الخلق في دهرهم ضاجرون ... ولا الدهر في خَلقه جائرُ

فهل غفل الدهر في العيد أَمْ ... تغافل عن أنّه داهِرُ

مآثرُ طابت بهنَّ النفوسُ ... جميعًا وقرَّ بها الناظرُ

تبدَّد جيش الهموم بها ... لدى كسرةٍ ما لها جابرُ

أغار عليه سرور الوَرى ... وسَعْدُ السُّعود له ناصرُ

وليس سوى هزَّةٍ عاملٌ ... وليس سوى بهجةٍ باترُ

وليس سوى نعمةٍ سابحٌ ... وليس سوى منّةٍ ضامرُ

فأين النَّكَال الأكول الذي ... توعَّدنا الزمنُ الفاجرُ

إذا كان ياتي على سالفٍ ... بلاه ويَسطو لهُ غابرُ

فقد صار يأْتي عليه الذي ... جناه ويعنو لهُ حاضرُ

وفي الأمس قد دوَّخ الصاغرينَ ... وفي اليوم دوَّخهُ الصاغرُ

ألا والمعالي وبِيْضُ العوالي[1] لئن ناصب الحادثُ القاهرُ
فلسنا ولسنا بمن يَحذَرون إذ الذِّمر[2] من حادثٍ حاذِرُ
وأنّا وأنا لَقَومٌ إذا فَخرنا فما في الورى فاخرُ
تباهى الملا كلّ يوم بما حباه بنا السيِّد الطاهرُ
عوارفُ بحرٍ لها نائل معارفُ عِضٌّ[3] لها آثِرُ
فضائلُ برٍّ لها مادحٌ فواضلُ حُرٌّ لها شاكرُ
تظلُّ البرايا تُنَوَّل من نداه الذي ما له آخرُ
منائحه غبطةُ المُعتَفي مدائحه المثَلُ السائرُ
فليس لأفضاله جاحدٌ وليس بنعمائه كافرُ
ولا يشتكيه لَعمْرُ الفتى بكلّ الذي أبدع الفاطرُ
سوى المال وهو له واهبٌ سوى اللؤم وهو له داثرُ
مديدُ النُّهى قوله كاملٌ طويل اللُّهى طوله وافرُ
حقيقٌ بتمديح كلّ الورى على أنَّ كلّ ثنًا قاصرُ
فكم بتُّ أنضي له خاطري فما ظلَّ أنْ خانني الخاطرُ
وما زلتُ عن وصفه عاجزًا على أنني المِدْرَه[4] الشاعرُ
ألا دمت في الخير مجتهدًا يُنارُ بك الوطن العامرُ
سعيد الجدود جديد السُّعود يغار لك الفَرقَد الزاهرُ

---

(١) العوالي: الرماح.

(٢) الذِّمر: الشجاع.

(٣) العِضّ: الشديد القويّ إذا ما قام على شيء.

(٤) المدره (لغةً): السيِّد وزعيم القوم المتكلِّم عنهم.

وقـال

ضمنت على عجزي النجاة من الكَربِ ... إذا لاح بدر العُذْر في ظلمة الذَّنْبِ
ولم أخشَ عتبًا في قصوري وإنَّني ... أرى العتب فيه أن أُواخذَ بالعتبِ
تكلّفني نظم الدراري مواقفي ... وليت وفائي أن يلبّ لها لبّي[1]
على أنَّ ما بين الوفاء وطاقتي ... لأضعاف ما بين الأحضّةِ والشهبِ
ألا في سبيل العذر إنْ كَلَّ خاطري ... وكم لنوال العذر من مسلكٍ صعبِ
ومَن بلغ الجهد المؤرَّقَ ليله ... فقد بلغت أعذارهُ سهلة الدربِ
ومن كان في أوصاف يوسف همُّه ... فلا زال يستسقي القرائح كالسُّحبِ
إذا أمطرته الدهرَ وبْلاً فلم يكن ... ليخرجَها من عهدة القَحْطِ والجَدْبِ
يرى إن أجابته لذاك تخلَّفت ... ويحجو بها إيجابه دائم السَّلْبِ
وإن نال عند النظم منها لِشطره ... عَروضًا رآها ليس تسمح بالضّرْبِ[2]
أفي مثله تبغي من المدح غايةً ... مَناط الثرايا عندها أقرب القربِ
حليف المعالي منه من حبّه لها ... ومن حبّها منها له شغَف الصَّبِّ
تضيق بناديه الملا وكلاهما ... خفيٌّ إذا ما ضمّ في صدره الرحبِ
له في رقاب القوم أطواق نعمةٍ ... تقلّد منها العصرُ باللؤلؤ الرّطْبِ
وفي دامسات الخطب أنوار فكرةٍ ... سَرَت عن دجى أغلاقه ضافيَ الحُجبِ
وفي فاجئ الخطب المُلِمّ رصانةٌ ... إذا مُثِّلت للروع ذاب من الرعبِ
لقد فخرت بيض المهارق أنه ... لقد أرسل الأقلام فيهنَّ كالقُضبِ

---

(١) لَبَّ لها اللُّبُّ: لازمها العقل.

(٢) الضّرب (في علم العروض): آخر بيت الشعر، كقوله: "ذهبوا" من قوله:
"وإنّما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هُمُ ذَهبت أخلاقُهم [ذهبوا].

كـأنّـيَ بالـدنـيـا تـقـول لدهـرهـا ... ألا مثـل هذا فلتكن عالـيَ الكَعـبِ

أذاقك مرَّ الصاب من كأْس حزمهِ ... وفـلَّ شَبـا بؤسـاك فَـلاًّ بـلا حـربِ

وأصبح يحمي العِلم من كلّ وجهةٍ ... وأمسى على تعزيزه حافظ الهـدبِ

تـلافـى رزيَّات الـورى فـأبـادهـا ... أزال صدوع الشعب بالشعب والرأْبِ[1]

ومـا زال يـولـيـهـم أيـاديَ جـمَّـةً ... ويصنع مَعْهم صنعة الطَبِّ للحـبِّ

فيـا مَن بـدا في جُبّـة المجد رافـلاً ... تذكَّرنـا لفظًـا بيوسُـفَ في الجـبِّ[2]

بمثـل نـداك الجـمّ تُـورق صخـرةٌ ... وتنقلب الصرماء[3] كالروض في الخصبِ

قصمت لنـا ظهر الزمـان وإن يكـن ... تـأَتـب من أرزائـه الدُّهْـم بالإِتـبِ

فـراقـت لـنـا الأيـام وأفـترّ ثـغـرهـا ... وطـاب لـنـا ورد الأمـانـيِّ للشـربِ

وأسـفـر بـدر العـيـد في أُفـق الهَـنـا ... وضاع عبير السعد في روضة الكسبِ

وماست غصون المكرمات وغرَّدت ... عليهـنَّ أطيـار المحـامد في سـرْبِ

فلا تَبـرحَـنْ يـا ذا الهُـمـام ممتَّـعًـا ... بعيَش هنًا أصفى من المورِد العذبِ

إذا كـان لا تُرضـي سـواك تهـانئي ... فمنك لدى التقصير بعض الرِّضى حَسْبي

---

(١) الرأب: إصلاح الصَّدْع.

(٢) قصّة يوسف الصدّيق، وقد رموه في الجبّ: أي البئر.

(٣) الصرماء: الفلاة من الأرض لا ماء فيها.

وقـال

لمن يـا ميُّ هاتيك القبـابُ ... على جبلٍ تُضِلُّ به الشِّعـابُ

أشيـم خلالهـا يـا ميُّ بَرقًا ... فهل جادت بطلعتها الربـابُ[1]

قبـابٌ تسطـع الأنـوار فيهـا ... ويسطع في جوانبهـا المـلابُ[2]

قد استنكَهتُها فنشيتُ عَرفًا[3] ... يضوَّع كلَّمـا مرَّت كِعـابُ[4]

تقوم علاً على سُمْر العوالي ... ويحرسهـا من البِيض القُبـابُ[5]

وتَرمي للمُطِلّ على حِماها ... سهامًا فوق ما حوت الجعـابُ

مضاربُ مِن سوى مَن تحتويهم ... لعمرك لا طعان ولا ضرابُ

غدَت لظِبائهـا وظُبَى ذويهـا ... قلوب القوم تخضع والرقابُ

لعمري نِعْمَ حيُّ أبيك حيًّا ... كما وُصِفت بمِنعتها العُقابُ

وأبنـاءٌ لأمّك من نـزارٍ ... كأُسْدِ البَرّ أخدَرَهُنَّ غـابُ

كُمـاةٌ تسبقُ الأرواح شَـدًّا ... سوابحَ تحتها الخيلُ العِرابُ

لهم غررٌ مَواطِن صادقـاتٌ ... وغارات تَميد بها الرِّحـابُ

يخوض فتاهُم الغمرات حربًا ... ونيـران القتـال لهـا التهـابُ

ويرجع بالغنيمة بعد صدقٍ ... وليس غنيمة البطل الإيـابُ

يطول وليس يُجهِضهُ خطارٌ ... فينـكـا أو يُغَـيَّبـه الغِيـابُ

---

(١) الرباب، مفردها ربابة: السحاب الأبيض.

(٢) الملاب: العِطر ما دام مائعًا (سائلاً).

(٣) العَرْف: الطِّيْب والعبير.

(٤) الكِعاب، جمعٌ كمفرد: الجارية نَهَدَ صدرها.

(٥) القُباب: القاطع من السيوف.

يذوق عذاب بَدء الأمر لكنْ ... عـواطـفـه لِمَـورده عِـذابُ
كذلك كلُّ مقتحـمٍ جديـدًا ... تذلُّ له المعاضل والصعـابُ
تقـابلت الأمـور فكلُّ مـرٍّ ... يعـاقبـه اللذيـذ المستطـابُ
ولولا المرّ لم تشعر بعذبٍ ... ولولاالعذب لم يُشعرك صَابُ[1]
وكـلُّ صعوبـةٍ فلهـا سهـولٌ ... وكـلّ سـهـولـةٍ فلهـا عِقـابُ[2]
وكـلّ بـدايـةٍ فلهـا ختـامٌ ... وكـلّ جـريمـةٍ فلهـا عِقـابُ
أما لو لم يكن طرفا نقيضٍ ... لمـا قيل الخطـاب له جـوابُ
وأفضل ذي شُروعٍ مَن تراهُ ... يقـارن غَبَّ مبـدأهِ الصوابُ
ومَن طلب الصواب ولم يقابل ... وجوه الأمر أعجزه الطِّلابُ
ومَن عَدِمِ الصواب وقد نحاه ... بأحسن مـا يجدُّ فلا يُعـابُ
ومَن خاض العُباب بقصد ربحٍ ... فإنَّ الدُّرَّ مـا ضَـمَّ العُبـابُ
ومَن طلب الأمور بغير جدٍّ ... سيدركها إذا شـاب الغُرابُ
ومَن حسب الحياة مدى طويلاً ... يكـذّبُ ظنَّه الأجـلُ القُرابُ[3]
إذا ولّـى شبـاب المـرءِ يومًـا ... فليس يُعيد صبوته الخِضابُ
ألا ليت الشباب يعـود يومًـا ... تقول وإنَّمـا ذهبَ الشبـابُ
فلا يشغـل فؤَادك في شبـابٍ ... عن العمل السَّماع أو الشَّرابُ
ولا يُقعِدكَ عن عملٍ فراغٌ ... ولو لم يُعقب العملَ اكتسابُ
فإنَّ السيف طَبعُ الهند يَصدا ... إذا مـا طـالُ يُخبـأُه القِـرابُ
وإنَّ المـرءَ إنْ يلزَم سكونًـا ... تولّى هيكلَ الجسد الخرابُ

---

(١) الصاب: الشجر المرّ.

(٢) عقاب: عَقَبات.

(٣) القُراب (بضمّ القاف وفتحها): خلاف البُعد، يريد (القريب).

سيعلم كلّ من عرف المعالي ... بأنَّ الشغل للعليا نِصابُ
ومَن في طَوقه أمرٌ فعيبٌ ... لدى إجرائه فيه ارتيابُ
ومَن أضحى لأمرٍ غير كفوءٍ ... فأليق ما يليق به اجتنابُ
ألم ترَ ما أصاب السُّحْب لمَّا ... تبارى كفُّ يوسفَ والسحابُ
ولم ترَ ما أصاب الشُّهب لمَّا ... ترأى وجهُ يوسفَ والشهابُ[1]
فلا عجبٌ إذا ما نال فوقًا ... ففضل الله ذاكَ ولا حسابُ
به راجت من العلياءِ سُوقٌ ... وعزَّ به من الحُسنى جَنابُ
وقد زهرت زناد العلم لما ... به عن شُبْهَةٍ رُفعَ الحجابُ
وقد نلنا رغائبنا وكانت ... أمانيًّا كما لمعَ السرابُ
غدا من عصبة الأفراد فضلاً ... بما يغدو من السيف الذُّبابُ[2]
إذا ذُكِرَ الثنا فهو المبدى ... وإن ذُكِرَ السنا فهو اللُّبابُ
تراه الآفقَ[3] النَّبهَ المُعلَّى ... وليس بسبقه أبدًا عجابُ
يظلُّ إذا انتحى العلياءَ يومًا ... هو السبَّاق ليس له صحابُ
لقد جابت مدائحه البوادي ... على نكْظٍ[4] وغنّاها الرُّكابُ
فليس لبدر شهرته مغيبٌ ... وليس لشمس بهجته ضبابُ
كأنَّ خلاله إن رمت مدحًا ... لأنواع الثنا منها انتهابُ
أروم به الوفاءَ فمِن قصوري ... يقوم بكلّ بيتٍ لي عِتابُ
تكلّ مناطق البلغاءِ فيه ... ولو كانت مناطِقنا الحِرابُ
وإن ندَع الثناءَ فإنَّ فيه ... خصائل للقريض لها اغتصابُ

---

(١) إشارة إلى حُسْن يوسف بنيعقوب، وهو من الأنبياء، ضُرب المثل بجمال وجهه حتَّى فضح بصباحته الكواكب.

(٢) الذُّباب (من السيف): حدّه.

(٣) الآفق: الذي بلغ الغاية في العلم والكرم والخير.

(٤) النكظ: العجلة.

لكم وثَبت قرائحنا عليها ... فعادت وهي من فَشلٍ غضابُ

أيا مَن خيره أبدًا يُرَجَّى ... إذا صفَرت من الرزق الوِطابُ[1]

ومن يغدو لنا في الرَّوع ركنًا ... إذا ألقى بكَلْكَلِه المصابُ

ومن أضحى يهاب الدهرُ منه ... بما القَعقاع[2] من ليثٍ يهابُ

ومن يُدني العُفاة إلى يسارٍ ... بما يدنى من القوسين قابُ[3]

دَعونا الله أن يبقيك ذخرًا ... لأنَّك أنت للأرزاق بابُ

لقد شيّدت مدرسةً تعالت ... على هام السِّماك لها كِعابُ

نظمتَ بها من الأصقاع وُلْدًا ... يُبلِّغهم لساحتك اجتيابُ

ومن يترك لعمرك والدَيه ... إليك فما يُعنّفه اغترابُ

ليُهنِكْ بالسلام مرور عيدٍ ... ولكن ما لبهجته ذَهابُ

ولا زالت بك الأعياد تزهو ... وعَيشك للسعود له اجتذابُ

ومثلك ليس يُرهِبه زوالٌ ... ففي كَنَف الإله له الثوابُ

فدم للغَوث غيثًا مستمرًّا ... وبدرًا ليس يُدرِكه غيابُ

---

(١) صفرت: خَلَت وفرغت. الوَطْب: سِقاء اللبن مصنوع من الجلد. ومعنى صفرت وطابه: خَلَت لساقيها من الألبان.

(٢) القعقاع: من تصطَكّ ركبتاه إذا مشى.

(٣) القاب: القُرب، وللقوس قابان بين المَقبِض والسّية.

وقال وأنشدها وداعًا في ختام سنة ١٨٨٦

مفارقةٌ والله عزَّ نظيرُها ... أسيرُ غدًا عنها وقلبي أسيرُها

تخلّيت عن قلبي لها غير مكرهٍ ... ولكنَّ نفس الحرّ تغلو مُهورُها

رهنت فوادي في هواها لمدةٍ ... فلم يُغْنِ عنه عند نفسي مرورُها

فليست ترى للعِلق[1] عندي علاقةٌ ... وعندي يدٌ لم توفِ عنّي نذورُها

وإن كان نَفْلاً ما سمحت فإنَّها ... صنائع في رايي تُزاد أُجورُها

فإنّي رأيت الفضل فضل زيادةٍ ... على حقّه يُمسي خطيرًا نَزيرُها[2]

وإنَّ المزايا من قليلٍ وربَّما ... لعمري قليل المكرمات كثيرُها

فإن كنت لم أُوثِر على النفس مجدها ... فلا أحمد الآثار عنّي أثيرُها

وما الفرق ما بين الكريم وضدّه ... إذا لم يُحَمِّل نفسَه ما يضيرُها

وما الحرُّ من يلوي لضرٍّ يَمسّه ... إذا لَفَحتْه في الليالي حُرورُها

ولكنَّ من يقوى وللروع نصلةٌ ... يُطير فوادَ الفحل إذ يستطيرُها

ولكنَّ من يطوي على المرّ مرّةً ... تظلّ عليه مُستمرًّا مريرُها

ولكنَّ من يغدو وتغدو عزيمة ... له مثل حدّ السيف وهو شهيرُها

ولكنَّ من يفري الستور[3] إذا عدَت ... عليه خطوبٌ لا تُزاح ستورُها

ولكنَّ من يغشَى صدور مجالسٍ ... وتغشاه من جُرد المذاكي[4] صدورُها

ولكن سريٌّ ساور الدهر همّةً ... يسامي النجوم المسريات مَسيرُها

---

(١) العِلق: النفيس من كلّ شيء، لتعلّق القلب به.

(٢) النَّزِر: القليل.

(٣) السُّتور: الدروع. والستور (الثانية)، مفردها سِتر: وهو معروف.

(٤) جرد المذاكي: الخيول الكريمة (مُطلقًا).

ولكنَّ فتى قد صاحب الوحش في الفلا ... بلا وحشة حتَّى تعجب قورُها

بقلب يحاكي الراسيات[1] وقد بدا ... كبير أناس في بجادٍ ثبيرُثها[2]

ولكنَّ فتًى عند الرزايا صبورها ... وفي وسط أجوال المنايا ضبورُها[3]

ألا في سبيل المجد أنَّ شكيمةً ... أَجِيش بها لم يَخْبُ يومًا سعيرُها

وأني حلَبتُ الدهر أَشْطُرَه[4] وقد ... مضت لي كأعوام الرجال شهورُها

إذا لم يكن ماء الشهامة منهلي ... ولم يَهدني نحو الحفيظة نورُها

فلا وافقت للمكرمات عقيلةٌ ... أخاها ولا صاغ القوافي أميرُها

يفجّر فيها للقريحة أنهرًا ... غِزارًا فلا تخشى المغاضَ[5] بحورُها

وما ذاك إلاّ أنه متخرّجٌ ... على ذات فضلٍ لا يخيب سميرُها

ممنعةٌ للفضل فيها معاقلٌ ... أقام بها الإرشاد وهو خفيرُها

مؤَسّسةٌ أركانها فوق حكمةٍ ... مرفَّعةٌ تعلو السِماكَ قصورُها

تميل بأعطاف النجاح خصورها ... وتضحك عن مثل الأقاح ثغورُها

وتزهو ولا زهو الكواكب في الدُّجى ... إذا في ليالي الجهل تمَّ سفورُها

يقرُّ لها من كلّ بدرٍ تَمامه ... ويحسدها من كلّ شمس ذرورُها[6]

هي الجنّة السامي على النجم كَعبُها ... غدت تزدري بالزُّهر نورًا زهورُها

زكت في ثَرى غُرّ المعاني غروسها ... فمدّت غصونًا كالنُّضار نَضيرُها

وقد أورَدَت قصّادها عينَ حكمةٍ ... سرَى في عروق النابغين نَميرُها

فلا غَرْوَ في عاداتها إنْ تأَرَّجَتْ ... بأعرافها الأرجا وضاع عبيرُها

---

(١) الراسيات: الجبال.

(٢) ثبير: جبلٌ في مكّة.

(٣) الضَّبور: الأسد.

(٤) حَلَبَ أشطرَ الدهر: جرَّبه وعرف خيره من شرّه.

(٥) غاض الماء: نقص أو نضب.

(٦) ذرّت الشمس: طلعت.

ولا غَرْوَ أن تقبض رجائيَ هجرةٌ ... عليَّ بجَرع الصَّاب حمَّ هجيرُها

فقد خوّلتني نعمة فوق نعمةٍ ... وكلٌّ إذا عُدَّت فإنِّي شكورُها

فالبسني نسجَ الحبور حَبيرها ... وأوطأني مهدَ السرور سريرُها

لقد رشَّحت حلمي[1] فجاءَت خلائقي ... من الطبع أولاها ولا أستعيرُها

ليالي هاتيك المهارقُ[2] حَولنا ... يدور بنا دَور الأساور سورُها

لذاك غدت تحكي بياض طُروسها ... وإن أشبهتها بالظلام سطورُها

مَجَرُّ ومَجرى سُمْر أقلامنا التي ... يهين صليلَ المشرفيّ صريرُها

ألا حبَّذا تلك الليالي فإنَّها ... هي الغُرّ لكن ليس يدري غرورُها

قضيت بها أنسًا كأنْ لم أفز به ... ورشفَ كؤُوس لم تُحرَّم خمورُها

فما أنسَ لا أنسَ الرياض التي جرى ... وأوردني ماءَ النعيمِ غديرُها

ولا أنسَ أوقاتًا قضيت برَبعها ... ولا صحبةً منّي كريمٌ عشيرُها

فإن يقضِ بالبعد القضاءُ فإنَّه ... عَذيريَ منها وهو منّي عَذيرُها

مضت فأمضَّتْ مُهجتي وكأنَّما ... نظير كرَى عينيَّ كان كرُورُها

فلا تنكرَنْ منّي الذي قد شهدته ... وجُومًا بنفسٍ قد تسامى زفيرُها

فبي من جوى الأحشاءِ ما لو جعلته ... على قُنَنِ الأجبال[3] دُكّت صخورُها

تُصعِّد منّي زفرةً فَتُثيرني ... وأجهد في إرجاعها فأُثيرُها

أحاول إخفاءَ الذي بي من الجَوى ... وأوفق من أخفا شجونٍ ظهورُها

فإن كنت أظهرت الفتور بلَوعتي ... فَرُبَّ عيونٍ شبَّ نارًا فتورُها

فوا حسرتا أنّي حسير حشى ولى ... محاجر دمعٍ نور عيني حسيرُها

---

(١) رشّحت حلمي: دفَعَت به وأمّتهُ ورعَته.

(٢) المهارق، مفردها مهرق: وهي الصحيفة أو الورقة.

(٣) قنن الأجبال: قمم الجبال.

أُوَدِّع مَغْنىً قد قَضيتُ به الصبا ... وأرضيت نفسًا كالنهار ضميرُها

وصادقتُ إخوانًا وعاشرتُ فِتيةً ... وسابقت غزلانًا أليفًا نفورُها

ومارست أعلامًا ودارستِ عِلْيَةً ... وآنسْتُ أنوارًا تِمامًا بُدورُها

عليَّ لهم فضلٌ بجِيدِي دُرّهُ ... وكم فِتيةٍ منهم تحلّت نحورُها

فحاشيت نفسي من سُلُوِّ عهودهم ... فإنَّ نِجارِي[1] المنذريَّ نذيرُها

فما قصرت إلاَّ وقامت مآثرٌ ... من الأصل لا يُدرَى لَعمري قصورُها

فذَكَّرَها عهد الخَورنق شأنُها ... وإن سدَرَت ما غاب عنها سديرُها[2]

مآثرُ أجدادٍ جديدٍ فَخارها ... يذرّى وإن طالت خلوًّا عصورُها

على أنه ما تمَّ فضلٍ لأولٍ ... بعصبتهم حتَّى أجاد أخيرُها

---

(١) النِّجار: الأصل والحَسَب، ويشير الشاعر هنا إلى أصله القديم، فالأمراء الإرسلانيون يعودون بنَسَبهم إلى (المنذر) بن ماء السماء اللّخمي.

(٢) الخورنق والسدير: قصران شهيران للنعمان اللّخمي.

وقال متغزّلاً بالعلم وهي من أوائل شعره

أمعلّمها بين العَذيب وبارقِ ... تغزّلت من غزلانه بالحقائقِ

فديتك رَبعًا قد تَرحَّل آله ... بكلّ إمامٍ للمآثر سابقِ

عفا وخَلَت منه المنازل بعد ما ... لقد كان زينًا للنُّهى والمناطقِ

وأقوى[1] وأقوى ما حوى من معاقلٍ ... أناخت عليه عادياتُ البوائقِ

وأجدبَ بعد الخصب إذ كان زاهرًا ... بكلّ كتابٍ للفوائد واسِقِ[2]

سلام على تلك الربوع فإنها ... رياض المعالي والمعاني الدقائقِ

لكَمْ قد حَوَت تلك الخيام عقائلاً ... يضيء سناها من خلال السُّرادِقِ

رواشق قلبي عن قِسِيّ[3] جفونها ... ألا بارك الباري بتلك الرواشقِ

تُبيح لنا ألحاظها حيثما رَنَتْ ... بسحرِ بيانٍ صادقٍ كلّ صادقِ

وإن خطرت سكرَى فمِن كلّ رائقٍ ... مِن اللفظ والمعنى ومِن كلّ شائقِ

لقد اطّلعت من تحت ليل فُروعها[4] ... هلال محيَّاها بأسنى المشارقِ

فلَيلٌ وبَدرٌ عندها ما هما سوى ... سواد مِدادٍ في بياض مَهارِقِ

بروحيَ هاتيك الثنايا فإنَّها ... زَهَت في رياض الفضل زهوَ الشقائقِ

أتَلْحُوْنَني[5] يا أيها الناس وَيْحَكُم ... على الحبّ ما أنتم له بالعوائقِ

---

(١) أقوى (المكان): خلا من ساكنيه.

(٢) وَسَق: جَمَعَ.

(٣) قِسِيّ: مفردها قَوْس.

(٤) فَرْع المرأة: شَعرها.

(٥) لَحَى: لامَ وعابَ.

ولـهُ

عليـك أقمـتُ أسنـاءَ الثنـاءِ ... فأنـت أقمـتَ أثنـاءَ السنـاءِ

جعلت عليَّ حقَّ ثناك فرضًـا ... وقد أحييت لي مَيْتَ الرجـاءِ

تَوَقَّدُ فِطنـةً وتَسـيـل لطفًـا ... كطبع السيف من نـارٍ وماءِ

وحلمك راجحٌ برِعان[1] رَضْوى[2] ... وعزمـك كالمهنَّد في المضـاءِ

ومجدك ظاهرٌ فوق الدراري ... وذكرك فـائـقٌ عَرف الكِبـاءِ

بروحي أنت لا وحدي ولكن ... فـداك القـوم من دانٍ ونـاءِ

إذا فتّشـت يومًـا في عروقـي ... ترى سَرَيان حبّك مع دمائـي

فأيـن تكـون يـا مـولاي مِنّي ... لأُسني عند منزلك احتفـائـي

ففي قلبي أُعيذك مِن غليلـي ... وفي عيني أُعيذك مِن بكائـي

لقـد أنـآكَ بالقـدر التـدانـي ... وقد أدنـاك بالحبّ التنـائـي

أرى لـك هـزّةً للفضل حتَّـى ... طباعك أصبحت مَجرى الطِّلاءِ[3]

أراك لطفت حتَّى كدت تَخفى ... علـى أبصـار مُختـبـرٍ وراءِ

فلابَسْتَ الضمـائر مثل سِرٍّ ... ولامستَ الظـواهـرَ كالهـواءِ

---

(١) الرِّعان من الجبل: أنفه.

(٢) رضوَى: جبل في المدينة المنوّرة، والعبارة للمديح.

(٣) الطِّلاء: الخمر.

وله من قصيدة طويلة تنوف على ثلث مئة بيت قالها في أول نظمه

هناءك إن شأنك لن يهونا ... فما ألقى العفاء عليك هَونا

ذر الأرواح تنسف ما استطاعت ... فإنَّ العهد لم يبرح رهينا

أما وأليَّةً منّي وإنِّي ... بدون أليَّةٍ قلت اليقينا

يمينًا[1] حلَّ منزلةً يمينًا ... من الباري فيكبر إن يَمينا

بأعلاقٍ بها الدنيا أطلَّت ... على الغايات سافرةً جبينا

عنيت المشرفية والمواضي ... من الأصلاب تتخّذ الجفونا[2]

سيوفٌ لو سُلِلْن على الرواسي ... تزعزعت البسيطة أو تلينا

إذا ما صُلّتت في الأرض يومًا ... رأيت الزُهْرَ[3] منها يشتكينا

تولَّى أمرها الأرهاف[4] لكن ... تولّى أن يمتّنها متونا

وأُحكم في سقايتها لبيقٌ[5] ... ويَبرين الصَّفاة وما سُقينا

كأنَّ الموت موثوقٌ إليها ... فمعترضٌ شمالاً أو يمينا

كأنَّك لو بذلت الفكر فيها ... حسِبتَ شفارها طُبِعت منونا

وحسبك في العواسل[6] مَشرفيٌّ[7] ... تعاين قبل هزَّته الطعينا

---

(١) يمينًا: للقسم، ويمينًا (الأخيرة) من المَيْن: وهو الكذب.

(٢) الجفن: غِمد السّيف.

(٣) الزُهر: صفة للنجوم.

(٤) الأرهاف، مفردها الرّهيف: وهو السّيف الرقيق.

(٥) اللبيق: الحاذق بكلّ عمل.

(٦) العواسل: الرماح إذا اشتدّ اهتزازها.

(٧) المشرفيّ: الرمح (وهو لفظٌ مُوَلّد).

إذا ما هـزَّهُ الفرسـان يـومًـا ... فألَّـى تعرف الدنيـا السكونـا

ومهمـا لان تـثـقـيـفًـا تَبـدّتْ ... لـه الأعـدا بأكثـرَ منـه لِيـنـا

لعمرك فالعُلى سيفٌ ورمحٌ ... فكـلٌّ للعُلـى أمسـى ضمـيـنـا

كِلا الشيخَين في الهيجا إمامٌ ... يطـالعـه الكُمـاة[1] الدارسـونـا

يؤَمّن في المعاضل كلَّ لبسٍ ... ويضمن للورى الفتح المبينا

ويخترم الجحـافـل والسرايـا ... ويفتتح المعاقل والحصونـا

ويُكسِـب قومـه عـزًّا مهيبًـا ... ويوسـع خصمهم ذلاً مهيـنـا

فأَعْظِـم بالكُمـاة مقـرَّ عِـزٍّ ... يريكَهُـمُ الثبـات بـه قرونـا

إذا برزوا خصومًـا للمنـايـا ... فـزعـن إليـهِـم أنْ ينـبـرِينـا

كُمـاةٌ في المواقف أو سـواهـا ... فهم أبـدًا غـدوا مُتـلـبّـبـيـنـا

لهم شُككٌ[2] إذا انتُضِيَت[3] لفتكٍ ... تَبَسَّـمُ والكُمـاةُ مُقَـطِّـبـونـا[4]

علـى جُـردٍ مُحجّلـةٍ صفـون[5] ... ألا أكـرم بهـا جُـردًا صَفـونـا

سوابقُ لو جرين مع السوافي[6] ... بمـيـدانٍ لَـكُـنَّ السابـقـيـنـا

لها من باهر الإِحضار[7] مرأًى ... كومْض البرق عند الرامِقـيـنـا

إذا انقضَّت بها الفرسان كانت ... صواعق تحت أُخرى يرتمينا

ومنها:

وتلقون الأُلى صلحوا أخيرًا ... بجـنّـات الإلـه يُـمَـتَّـعـونـا

---

(١) الكُماة، مفردها كمّي: الفارس (مُطلقًا).

(٢) الشكّة: السلاح.

(٣) انتضى السيف: سَلَّهُ من غِمده وشَهَرَه.

(٤) المقطّب: العابس.

(٥) المُحجّل والأجرد والصفون: من صفات كرائم الخيل.

(٦) السوافي: الرياح (بدون تخصيص).

(٧) الإحضار: نوع من جَري الخيل، وهو دون سرعتها القصوى.

أُلئك[1] هُم على هَدْيٍ قويمٍ ... وهُم عند المَعاد المُفلِحونا

وأمَّا الكافرون بمن بَراهُم ... فذَرْهُم في الضلالة يَعْمَهونا

لئن أنذرتهم أو لا سواءٌ ... عليهم أنهم لا يُؤْمنونا

ومن كانوا على الإدراك منهم ... بآيات الإله يُكَذِّبونا

وقالوا لا كتاب وإن هَذِهْ ... أساطيرُ الآنام الأوّلينا

وكانوا يسمعون الحقّ لكن ... أرادوا أن يكونوا مُعرِضينا

ومن اتّخذوا المِراءَ لهم حليفًا ... وكانوا للإله مُخادعينا

وقالوا نحن آمنَّا وكانوا ... يقولون الذي لا يفعلونا

فسوف يرى انتقام الله منهم ... بما ظلموا وكانوا يعتدونا

وسوف يُحاق من سخروا بحقٍّ ... بما كانوا به يَستهزئونا

بيومٍ لا يقوم لهم شفيعٌ ... بما كفروا ولا هم ينصرونا

ومَن قد أصلحوا في الأرض عُمرًا ... فليس يضيع أجرُ المصلحينا

إذا شهدوا القيامةَ حيث كانت ... فلا خوفٌ ولا هُم يَحزنونا

وحلّوا بالفراديس اللواتي ... قد انتُظِرت فكانوا خالدينا

كما امتثلوا لأمر الله طوعًا ... وعمّا عاف كانوا مُنتهينا

أقاموا بالأحقّ له حدودًا ... يُبيّنها لقومٍ يَعلمونا

وإنَّ بخلق ربِّك مَن تعالى ... لآياتٍ لقومٍ يعقلونا

فكوني بَرّةً يا أمَّ عَمْروٍ ... فليس خرافةً ما تَسمعينا

لَعمرك ليس إنسانٌ جهولاً ... بأنَّ الله ربُّ العالمينا

فإما تسمعي في ذا مِراءً ... فعن قومٍ طغاةٍ مُمْتَرينا

أحاطوا بالحقيقة فيه عِلمًا ... ولكنْ خالفوا ما يُوقنونا

---

(١) أُلئك: (لغةٌ في) أولئك ـ انظر لغة طيء.

ألا لا تَذهلي يا أمّ عَمْروٍ ... عن الحقّ الذي لا تجهلينا

ولا يقتادكِ الطاغوت إلاَّ ... وأنتِ على الطواغِت تَظهرينا

وأنتِ صديقةٌ يا أمّ عَمْروٍ ... لعمرك لن تزالي تظفرينا

فإنَّا لا نطيق الضَّيم يأتي ... على أصحابنا ومُواثِقينا

وأنَّا نكبح الأزراءَ عَمَّن ... يعوذ بنا مليكًا أو قَطينا

وانا لا نرى الأعداء إلاّ ... أسارَى عنوةً ومُهزّمينا

سَلي إن شئتِ عنّا في المعالي ... ترينا مِن أعزّ المُعتلينا

ترينا لا نكون بلا اعتزاز ... فنلزم عزَّةً حتَّى نكونا

ترينا لا يُنازلنا جريءٌ ... تخرُّ له الضراغمُ ساجِدينا

ترينا لا يكابرنا كبيرٌ ... سما إلاَّ ونحنُ الكابرونا

سَلي مَن شئتِ إما شئتِ حتَّى ... ترينا ما ترينا ياظَعينا[1]

خرجنا في مبارزةٍ فكُنّا ... نُعَدّ على الجميع مُبَرِّزينا

وأبلينا البلاءَ الحقّ حتَّى ... أقرَّ بما مَلَكْنا الكاشِحونا

فعدنا بعد أن شدنا المعالي ... على متن العوالي فائزينا

وعُدنا والسيوف على ظباها ... فلولٌ من قِراع الدارِعينا

وكُنَّا الفاتكينَ إذا غَشَونا ... وكُنّا الدافِعينَ إذا غُشينا

وكُنَّا الناحرين وقد نزلنا ... ونازَلْنا فكُنَّا الناحِرينا

---

(١) الظعين (هنا): المرأة في الهَوْدج، سمّيت به على حدّ تسمية الشيء بأسم الشيء، لقربه منه.

وله تاريخا لضريح الوجيه المغفور له السيّد عمر الغزّاويّ

تأمّلوا يا عباد الله وادَّكروا ... على الجميع بهذا قد جرى القدرُ

يفنون طُرًّا بتقدير الحكيم ولا ... يبقى سوى صالح الأعمال يُدَّخرُ

لقد مضى اليوم من أعياننا عُمَرٌ ... مخلّدًا في الورى من فضله الأثرُ

وسار يَحظَى ببرّ الله فابتهجت ... به الملائكُ لكنْ ناحَت البشرُ

فقلت إذ سار في تاريخه بهَنا ... نعم المسير إلى الفردوس يا عمرُ

وكتب الناظم تحت رسمه

ونفسك فابدأ بتصويرها ... بما أنت من خالدٍ فاعلُ

وإلاَّ مضى الجسم مع رسمه ... ولا يُخلد الزائلَ الزائلُ

فهذا أثر ممَّا سمح به الخاطرُ، والعمر في أول أطواره. وجواد القريحة في بدءِ مضماره. رسمت به النفس على حالتها تلك، والمرءُ مولع بآثاره. والفتى كَلِفٌ بأبكاره. راجيًا ممَّن تردَّى برداء الأدب واستشعر بشعاره، أن يتلقّى الخلل بواسع حلمه ويتغمَّد الزلل بوارف ستاره. على أنه لمَّا كانت الباكورة مجموع منتخبات. ومقتطف أنموذجات. اقتضى أن أودعها أحاسن قصائدي وأطوي الباقي على غِرّه سائلاً الله تعالى ما يسددني إلى طرق الصواب. وينكُب بي عن مداحض الارتياب. وأن يرشدني إلى الحقّ ويهديني بمناره، ثمَّ الحمد لله ربّ العالمين. والصلاة على محمَّد بن عبد الله رسوله الأمين. وعلى آله المقرّبين وأصحابه المكرّمين. وأعوانه وأنصاره. آمين.

فهرست المحتويات

★ كلمة لا بدّ منها ٥

★ مقدّمة الناشر ٧

★ مقدّمة/ بقلم د. كلوديا شمعون أبي نادر ٩

★ إهداء الباكورة ١٣

★ فهرست المحتويات ١١٩